وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت/الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر
الموسومة بـ:

أبعاد التسامح الإنساني لدى الأمير عبد القادر
(1807-1883م)

من إعداد الطالبات:

- بوشنافة فاطمة الزهراء
- لعريشي زينب
- بن زينب خالدية

الأستاذ المشرف:

د. كركب عبد الحق

لجنة المناقشة		
د. طاعة سعد	جامعة تيارت	رئيسا
د. كركب عبد الحق	جامعة تيارت	مشرفا ومقررا
د. بوسلامة محمد	جامعة تيارت	مناقشا

السنة الجامعية: (1442-1443هـ/2021-2022م)

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

كلمة شكر

الحمد والشكر لله

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بجزيل الشكر والإمتنان لكل من قدموا لنا يد المساعدة، ونخص بالذكر أستاذنا المشرف الدكتور كركب عبد الحق لما قدمه من مساعدة وإرشاد، وما وجدناه عنده من تشجيع لمواصلة هذا البحث والوصول به إلى نهايته، ويسرنا أن نوجه أسمى آيات التقدير والعرفان إلى لجنة المناقشة الذين تحملوا عبئ قراءة هذا البحث، وإثرائه بملاحظاتهم.

كما نتوجه مرة أخرى بالشكر والتقدير إلى الأسرة الجامعية وبالخصوص أساتذة قسم التاريخ الذين رافقوا مسيرتنا الدراسية من السنة الأولى إلى تخرجنا على المجهودات الجبارة التي منحوها لنا والتوجيه والإرشاد.

كما نقدم كل الشكر إلى من دفعنا إلى السير إلى الأمام والمزيد من العمل دون التوقف في إنجاز هذا البحث، ولهم منا جميل العرفان وكامل الشكر والإحترام.

الإهداء

إلى من مهد طريق العلم بعد الله عز وجل، وإلى من سهلا لي طريق الصعاب بدعواتهما الخالصة وكان الفضل لهما بعد الله عز وجل فيما وصلت إليه، إلى والدايا الكريمين قرتا عينيا أبي "بوشنافة أحمد" وأمي الكريمة " بن فريحة خودة".

إلى أعز أخ لي الذي وقف إلى جانبي وتحمل معي مشقة البحث أخي العزيز "أمين عبد الحق" حفظه الله وأطال في عمره.

إلى البراعم الصغار إخواني: "محمد سيف الله"، "نور الدين عبد الله" ، "محمد فايز" ، وإلى كل من كان سندا لي في إنجاز هذا العمل المتواضع.

كما أتقدم بالشكر لزميلاتي زينب، خالدية، فاطمة، رفيدة، خيرة، شهيناز، مباركة، زهرة.

بوشنافة فاطمة الزهراء

إهداء

إلى مهد حياتي وسيدة سروري الغالية دوما أمي الحبيبة، حفظها الله ورعاها.

إلى تاج فخري وعزتي والدي حفظه الله ورعاه.

إلى إخوتي محمد وهشام.

إلى أخواتي غنية، نبيلة، منيرة، وإبنة أختي نوران.

إلى صديقاتي الحبيبات خيرة، خالدية، فاطمة، زينب، سعاد.

أهدي عملي هذا إلى كل طالب علم أراد أن يبحر في هذا المجال

بن زينب خالدية

إهداء

أولا وقبل كل شيء الحمد لله تعالى الذي وفقني لإتمام هذا العمل وباركني كثيرا فيه.

إلى أعز الناس على قلبي والدي الغالي "لعريشي بلعالية" رحمة الله عليه الذي ساعدني في كل خطوة خطيتها في دراستي وبفضله وصلت إلى هنا، إلى الروح التي علمتني معنى الفقد، إذ ليس الوجع في أيام الفقد الأولى بل حين تأتي الأيام السعيدة، فتجد أن من يستطيع مشاركته بشكل أعمق قد رحل.

وثانيا أعز الناس عليا أمي الغالية في هذا الكون فبفضلها واصلت مشواري رغم الظروف والصعوبات بفضل نصائحها ومساندتها لي فهمها، فمهما فعلت فلن أوفيها حقها.

إلى من هم سند لي في الحياة جزاهم الله خيرا على مساعدتي في إتمام هذا العمل.

إلى أستاذي الفاضل عبد العالي من ولاية معسكر الذي بذل كل مجهوده في مساعدتي ومساندتي.

إلى صديقتي يسرى التي ساعدتني بكل روح معنوية وفقها الله في حياتها.

لعريشي زينب

قائمة المختصرات:

تر	ترجمة
ج	جزء
ط	طبعة
ط خ	طبعة خاصة
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
إش	إشراف
تق	تقديم
تع	تعريب

مقدمة

المقدمة:

تاريخ الجزائر حافل بالبطولات والمآثر، حمل في طياته العديد من الأحداث التي سجلتها أعظم الشخصيات بأحرف من ذهب في سجل التاريخ، ومن بين هذه الشخصيات الأمير عبد القادر الذي إرتقى عن غيره مكانة ورفعة في تاريخ الجزائر.

فلسيرة الأمير عبد القادر تاريخ عظيم ومشرف، شخصية جمعت بين الدهاء السياسي وحنكة المقاومة طوال فترة حياته، ونموذج جمع أهم الخصال الحميدة والسجايا النابعة من قيمه التي تربى عليها منذ الصغر، وشخصية رسخت مبادئ الإنسانية والتسامح بجميع أشكالها وفي جل معاملاتها.

فالإنسانية سمة ميزت الأمير عبد القادر وجعلته قدوة ومثال حي للأجيال اللاحقة ومصدر بحث للدراسات التاريخية من طرف الباحثين والدارسين لتاريخ الجزائر المعاصر.

أهمية الموضوع :

وتكمن أهمية هذا الموضوع المعنون بالأبعاد الإنسانية لقيم التسامح للأمير عبد القادر (1807م- 1883م)، من خلال ما وضحته أغلب الكتابات التاريخية حول جانب مهم من جوانب من شخصية الأمير عبد القادر، كما ركزت على تتبع هذه القيم في كافة المراحل التي عايشها الأمير منذ صباه، بحيث كانت مرجعيته الإنسانية نابعة من عدة ركائز أساسية منها:

- ✓ أصوله الشريفة والنبيلة التي ورثها من أجداده.
- ✓ البيئة الدينية التي عاش فيها.
- ✓ تجاربه العلمية والعملية التي مر بها.
- ✓ تكوينه الإجتماعي والصوفي الذي أهله ونمى فيه روح الإنسانية.

كل هذه العوامل كانت بمثابة القاعدة الأساسية لتجسيد صفة الإنسانية في شخصية الأمير بالخصوص في دولته من خلال معاملاته، وترسيخه لمبادئ التسامح، وهذا وما

إعترفت به أغلب شهادات الأسرى ومن عاملهم بهذه السمة، كما سلطت هذه الدراسات الضوء على جانب جديد وآخر من حياة الأمير عبد القادر عكست صورته العظيمة وإعترفت به أغلب شعوب العالم وهذا أيضا ما يفسر لنا تنوع الدراسات التاريخية حول شخصية الأمير عبد القادر.

و كونه أحد المواضيع التي نالت حيزا واسعا من الدراسات الهامة في تاريخ الجزائر، ويمكن أن نجمل سبب إختيارنا للموضوع خاصة بعدما نال دراسة مستفيضة من طرف الكتابات التاريخية والمؤرخين وتنوع المادة العلمية، مما أثار نظرنا إلى المعرفة أكثر حول هذا الجانب من شخصية الأمير عبد القادر ومعرفة آراء الباحثين سواء العربية أو الأجنبية.

أسباب اختيار الموضوع :

فمن الأسباب التي جعلتنا نصطفي هذا الموضوع سبب ذاتي يتمثل في رغبتنا لدراسة الموضوع ومعرفة تفاصيله الدقيقة، إضافة إلى التعرف بشكل أوسع على شخصية من أهم الشخصيات في تاريخ الجزائر المعاصر بشكل عام ومنطقة الغرب الجزائري بصفة خاصة، أما ماهو موضوعي فيتمثل في الصلة الوثيقة بين عنوان الموضوع والتخصص.

الإشكالية :

وفي هذا الإطار صغنا إشكالية تناسبت مع طبيعة الموضوع والتي تمثلت فيما يلي:

- إلى أي مدى ساهم الأمير عبد القادر في ترسيخ قيم التسامح والإنسانية طوال فترة حياته؟

وقد إندرجت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية وضحت تركيبة الموضوع وخطته بجميع عناصرها الفرعية، وهي كالآتي:

- ما هي المرجعية التاريخية التي إستقى منها الأمير عبد القادر إنسانيته؟
- ما هي مظاهر الإنسانية وقيم التسامح في دولة الأمير عبد القادر ؟
- ما هي أهم المبادرات الإنسانية للأمير عبد القادر خلال فترة أسره؟

- فيما تمثلت إنسانية الأمير عبد القادر في المشرق العربي؟

وللإجابة عن التساؤلات المطروحة قمنا بتقسيم بحثنا هذا إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة إستنتجنا منها زبدة الموضوع .

خطة البحث :

بدأنا موضوعنا بمدخل قسمناه إلى ثلاثة أقسام، تضمن القسم الأول دراسة الأوضاع العامة للجزائر مطلع القرن التاسع عشر، وما عرفته الجزائر من ركود في شتى المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية نتيجة العديد من العوامل التي ساهمت في هذا التراجع، خاصة بعد دخول الإحتلال الفرنسي الذي قلب الموازين رأسا على عقب، أما القسم الثاني فقد تحدثنا عن مجريات الإحتلال الفرنسي بدءا بمخططاته إلى غاية فرض الحصار ونزول الحملة الفرنسية على الجزائر، وإزاء هذا الوضع تباينت ردود الفعل الأولى ضد الإستعمار الفرنسي في شكل مقاومات شعبية قادتها شخصيات عظمى من أهمها الأمير عبد القادر الذي لعب دورا محوريا في طرد الاستعمار وبناء الدولة الجزائرية الفتية، وهذا ما أدرجناه في القسم الثالث.

كما تطرقنا في بداية الفصل الأول إلى دراسة شخصية الأمير عبد القادر وأهم الأسس المرجعية لإنسانيته بداية بأصله ونسبه الشريف الذي يعود إلى السلف الصالح وإلى آل البيت، ثم مولده ونشأته الدينية التي ترعرع وتربى فيها والتي عملت على تكوينه وتهيئته تهيئة إجتماعية، ليكون الإنسان المثقف والعالم بجميع المعارف والعلوم مرتحلا من بلد لآخر للجمع من منابعها والإنتفاع بها، وهذا ما أبرزناه في القسم الثاني من فصلنا الأول.

فهذه العوامل أهلته ليكون القدوة والمثل الأعلى للأخلاق والتحلي بها منذ نشأته والتي من أهمها: الصبر، والعدل، التسامح، وغيرها من الخصال التي تميز بها وورثها أبا عن جد كما تطرقنا في قسمنا الرابع من الفصل الأول إلى جانب مهم في حياة الأمير عبد القادر والذي كان بمثابة المرجعية والأساس لإنسانية الأمير عبد القادر، من خلال تكوينه الصوفي

الذي بينا فيه من أين إكتسبه وتجربته الصوفية التي أضفت إليه صفة الإنسانية ورسخت قيم التسامح وجسدتها في أرض الواقع وهذا ما سنعرفه في الفصل الثاني المعنون بالأبعاد الإنسانية في دولة الأمير عبد القادر (1832_1847م).

بحيث قسمناه إلى أربعة أقسام فرعية وإبتدأناه بمعاملات الأمير الإنسانية مع جنده من خلال ما ذكرته أغلب الكتابات التاريخية، فقد كان يرأف بجنده ويهتم بهم بدءا ببنائه للمستشفيات والمراكز الصحية، كما أرسى قيم التسامح والإنسانية حتى مع الأسرى من الفرنسيين، دينيا وهذا ما أثبتته أغلب شهاداتهم التاريخية التي بينت ذلك، وحتى في علاقاته مع المستعمر الفرنسي في أغلب صوره من خلال المعاهدات والرسائل التي تمت بين الطرفين، أما الفصل الأخير فتناولنا فيه أهم المبادرات الإنسانية التي قدمها الأمير عبد القادر خلال فترة أسره وفي المشرق العربي بصفة خاصة في مصر وسوريا تاركا بصمته الإنسانية، ومرسخا من جهة أخرى قيم التسامح، وختمنا بحثنا هذا بخلاصة حول وإستنتاج عام حول الموضوع.

المنهج المتبع :

كما قد إعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التاريخي الوصفي وذلك من خلال تتبع الأحداث والوقائع في مختلف المحطات التاريخية التي مر بها الأمير عبد القادر وفق تسلسلها الكرونولوجي للأحداث التاريخية وتسليط الضوء على أغلب الفترات التاريخية لمسيرة الأمير عبد القادر، وأهم جوانبها الإنسانية ، كما وصف لنا حال الأمير عبد القادر في دولته و اهم معاملاته الإنسانية ، إلى جانب حاله في المشرق العربي .

المصادر و المراجع :

تبعا لطبيعة الموضوع إعتمدنا على العديد من المصادر والمراجع التي أفادتنا في موضوعنا، منها مذكرات الأمير عبد القادر التي رسمت لنا صورة واضحة عن شخصيته وحددت أبعادها الإنسانية، وكتاب تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر

إلى جانب العديد من المذكرات منها رسالة الدكتوراه لبسايس قويدر المعنونة بالفكر التحرري والوطني للأمير عبد القادر التي أعطتنا صورة واضحة عن جوانب مهمة لعلاقات الأمير الإنسانية في دولته، وغيرها من الكتابات التي أماطت اللثام عن جوانب مهمة من شخصية الأمير، كما إعتمدنا على مصادر مهمة باللغة الأجنبية، منها كتاب حياة الأمير عبد القادر لمؤلفه الدكتور "هنري تشرشل" والذي ترجمه الدكتور أبو القاسم سعد الله، ومن بين المصادر الأجنبية أيضا التي أفادتنا في موضوعنا هذا أيضا، كتاب حياة الأمير عبد القادر السياسية والعسكرية لمؤلفه "الكسندر بلمار"

Bellmare،A،Abdkader Sa politique et militaire ، Edit Bouchene, France، 2003.

وغيرها من المراجع والمصادر التي ساهمت بشكل كبير في التعرف على شخصية الأمير عبد القادر، من جهة أخرى ألقت الدراسات السابقة حول هذا الموضوع، منها كتاب وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب لإبن رويلة، الذي أبرز نماذج عن معاملات الأمير بجيشه.

الصعوبات :

أما بالنسبة للصعوبات فقد واجهتنا العديد منها قلة المصادر التي عالجت هذا الجانب من شخصية الأمير، خصوصا المتعلقة بمنطقة المشرق العربي.

مدخل: محطات من تاريخ الجزائر المعاصر ومقاومة الأمير عبد القادر

أولا: أوضاع الجزائر مطلع القرن التاسع عشر.

ثانيا :الخلفيات التاريخية للإحتلال الفرنسي للجزائر.

ثالثا: الإحتلال الفرنسي للجزائر والحملة الفرنسية.

رابعا: واقع الغرب الجزائري وردود الفعل الأولى "مقاومة الأمير عبد القادر" أنموذجا

أولا: أوضاع الجزائر العامة مطلع القرن التاسع عشر

لقد مرت الجزائر منذ إلتحاقها بالدولة العثمانية بالعديد من المراحل، فتارة تميزت بالقوة وتارة أخرى بالضعف خصوصا في القرنين الثامن والتاسع عشر، هذا الضعف الذي شكل فيصلا ونقطة حاسمة في تغير وضع الجزائر داخليا وعلاقاتها الخارجية وإهتزاز مكانتها المحلية والدولية نتيجة العديد من العوامل الداخلية والخارجية، هذا ما جعلها طعما سهلا لدى الدول الأجنبية الأوروبية على رأسها فرنسا التي خططت منذ قرون للسيطرة على الجزائر وبالفعل نجحت في ذلك، ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا بل ظهرت ردود فعل وطنية كانت بمثابة الوجه المدوي لفرنسا منها مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، هذه الشخصية التي تعددت خصالها من سمة إلى أخرى من القائد المقاوم إلى السياسي المحنك إلى المرابط الإنساني، هذه الأخيرة التي تميز بها عن غيره من الشخصيات الأخرى، وهذا ما سنعرفه في كافة تفاصيل موضوعنا.

1. السياسية:

لقد عرفت الجزائر تراجعا في ميزان القوى على المستوى السياسي، فبعد عهد القوة والتماسك والاستقرار الداخلي والتفوق البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط قرابة ثلاث قرون، دخلت الجزائر العثمانية أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، في أزمة سياسية وإجتماعية هددت مستقبل البلاد وتكرست فيها مظاهر الضعف والإنحلال، كانت نتيجتها سقوط الجزائر أرضا وشعبا، تحت وطأة الإحتلال الفرنسي من خلال العديد من الظروف على رأسها السياسية التي انعكست سلبا على الجوانب الأخرى.[1]

[1] فلوح (عبد القادر)، العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1818_1830م)، على ضوء المكتبة الوطنية الجزائرية، إش: حساني (مختار)، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2 ببوزريعة، 2009_2010م، ص12.

فقد ميز وضع الجزائر على مستوى الجانب السياسي خصوصا في العقدين الأوليين للقرن التاسع عشر انتشار الإنقلابات العسكرية والإغتيالات[1] في هرم السلطة والمؤامرات السياسية في البيالك[2] الثلاثة.[3]

ويفند لنا الدكتور أرزقي شويتام في هذا الصدد رأيه في كتابه نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهياره حالة الإضطراب السياسي التي مست الجزائر خلال القرن التاسع عشر وفسر بأن هذا الضعف ليس حديث العهد بل يرجع تاريخه إلى فترة البشوات (1587_1659م) وتضاعفت في فترة الأغوات.[4]

وتعود الأسباب الحقيقية لهذا التدهور حسب معظم الكتابات التاريخية إلى أسباب داخلية منها فساد السياسية العسكرية عامة وسياسة التجنيد بصفة خاصة بعدما بقي العمل بالمعايير العثمانية الصارمة، وأصبح الإنخراط في الجيش في متناول الجميع.

[1] من أبرز النماذج عن ظاهرة الإغتيال في دفتر التشريفات أن هناك دايات كان مصيرهم الاغتيال ومنهم علي باشا الذي قتل في 27 محرم 1224هـ/ 1809م، أي بعد أربعة أشهر من الحكم ومصطفى باشا الذي أغتيل على يد ثائرين أيضا. ينظر: دلباز(محمد)، الحياة السياسية والعسكرية والإقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني على ضوء دفتر التشريفات، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: هلايلي (حنيفي)، جامعة الجيلالي اليابس_سيدي بلعباس، 2014_2015م، ص57.

[2] البايلك: هو مصطلح تركي قديم أخذه الأتراك عن المغول والسلاجقة وأول من تولى إمارة البايلك عند الأتراك هو عثمان بن أرطغل مؤسس الدولة العثمانية في الجزائر. ينظر: كعوان (فارس)، "المصطلحات الإدارية العثمانية (الباشا، الدنوش، البايلك أنموذجا)"، مدارات تاريخية، العدد الثاني، أفريل 2019، ص ص 128_135.

[3] فلوح (عبد القادر)، المرجع السابق، ص13.

[4] شويتام (أرزقي)، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800_1830)، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص27.

هذه السياسة العثمانية كان لها الأثر البالغ في قيام الثورات والإنتفاضات الداخلية مطلع القرن التاسع عشر، منها إنتفاضة بلاد القبائل، وثورة بني الأحرش[1] في الشرق الجزائري، ناهيك عن الكوارث والاضطرابات الأخرى.[2]

أما بالنسبة للعوامل الخارجية فيمكن حصرها في عاملين أساسين أوله تنازل الدولة عن نظام الاحتكار التجاري لليهود في عهد الداي مصطفى باشا[3]، إضافة إلى الحملات العسكرية الخارجية للجزائر من طرف جيرانها أو من طرف أوروبا التي تحالفت دولها منذ القرن الثامن عشر منها المشاركة الهولندية البريطانية والحصار البحري للجزائر.[4]

2. الاجتماعية:

مما لاشك فيه أن الدراسات التاريخية التي إهتمت بالتاريخ الإجتماعي للجزائر مطلع القرن التاسع عشر تطرقت إلى التعريف بمجتمع الجزائر وإحصاء نسبه، وأحواله بحيث توضح أغلب الكتابات التاريخية التي من بينها ناصر الدين سعيدوني الذي أحصى عدد

[1] بني الأحرش: هو الشيخ الحاج محمد بن عبد الله الأحرش المعروف بالبودالي نسبة إلى الأبدال الصالحين وعرف عند البعض بالشريف المغربي، وقد ذكر بأنه فتى مغربي مالكي المذهب درقاوي الطريقة درعي النسب قاد ثورة بني الأحرش (1800_1807م). ينظر: جعني (زينب)، ثورة بني الأحرش في بايلك الشرق (1800_1807م)، مجلة عصور، العدد 18، 2015، ص ص 129_139.

[2] حازم(سمية)، مراح (فاطمة)، الأوضاع السياسية والإجتماعية لمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1766_1830)، طيبي (مهدية)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة_خميس مليانة، 2016-2017، ص60.

[3] مصطفى باشا: داي من دايات الجزائر (1798_1805م)، شهد عهده إضطرابا سياسيا أو ما سمي بعهد الفوضى منها اغتيال ستة دايات من مجموعة ثمانية دايات وتواصلت هذه الفوضى إلى عام 1830م، كما انهار النظام السياسي ومعه الجزائر أمام القوات الفرنسية وإجبار الداي على توقيع معاهدة الإستسلام. ينظر: بوشنافي (محمد)، "الداي مصطفى باشا وعصره (1798_1805م)"، عصور، العددين 8-9 ، 2012_2013م، ص ص159_137.

[4] حازم (سمية)، المرجع السابق، ص62.

سكان الجزائر وذكر أنه لا يتجاوز المليون نسمة خلال القرن التاسع عشر[1]، أما صالح عباد فقد بين في كتابه الجزائر خلال الحكم التركي وجهة رأيه حمدان خوجة[2] الذي ذكر أن عدد السكان قد بلغ عشرة ملايين نسمة غير أن الإحصائيات الفرنسية نفت هذا الرقم نفيا قاطعا وصرحت بمليونين فقط.[3]

إلى جانب هذا تحدثت الدراسات التاريخية إلى جانب آخر للحالة الإجتماعية للجزائر مع مطلع القرن التاسع عشر فقد وصف حمدان خوجة في كتابه المرآة أهم الطبقات الاجتماعية للمجتمع الجزائري وطريقة عيشهم، وأهم طبائعهم وعاداتهم ومثال على ذلك يذكر حمدان خوجة مدينة معسكر التي يتكون سكانها من الأتراك والعرب والكراغلة[4] وتحدث كثيرا عن أنشطتهم الفلاحية وممارستهم للتجارة مع بني ميزاب.[5]

وبالتفصيل أكثر في تركيبة المجتمع الجزائري فإن أغلبية السكان خاصة في بداية الإحتلال كانت تسكن البوادي والجبال والقرى الصغيرة أو ما يسمون بسكان الريف، أما

[1] سعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1789_1830م)، ط2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص23.

[2] حمدان بن عثمان خوجة: ولد سي حمدان في أواخر عصر الدايات بالضبط في عهد الداي مصطفى باشا ،كما عرف حمدان خوجة بثقافته وتفتحه لعصره وهو من بين الشخصيات البارزة في العالم الإسلامي التي دعت للإصلاح ومواكبة الحضارة الغربية. ينظر: بن أفراح (شريفة)، حمدان بن عثمان خوجة مساره السياسي وكتابته التاريخية، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2017_2018، ص22

[3] عباد (صالح)، الجزائر خلال الحكم التركي (1514_1830)، ط2، دار هومة، الجزائر، 2007، ص354

[4] الكراغلة: وهم أبناء الأتراك من سلالتهم أو نتاج المصاهرة بين العثمانيون وسكان الجزائر. ينظر: لمين (كريمة)، الكراغلة وموقفهم من السلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف _المسيلة، 2018_2019م، ص6

[5] بن عثمان خوجة (حمدان)، المرآة، تر: محمد العربي الزبيري، الوكالة الوطنية للطبع و الإشهار ، الجزائر، 2006، ص 59

المدن الكبرى فقد كانت العناصر البارزة من سكانها الأتراك والكراغلة[1]، كما لا يفوتنا الحديث عن الأوضاع الصحية التي شهدتها الجزائر بداية القرن التاسع عشر فقد إنتشرت العديد من الأمراض والأوبئة بين سكان الجزائر[2]، وذلك بصلتها بعالم البحر المتوسط ومن هذه الأمراض والأوبئة الطاعون[3] على أنواعه ووباء الكوليرا إضافة إلى المجاعات التي عصفت بالجزائر[4]، بالضبط في قسنطينة 1838م التي ذكرها صالح العنتري في كتابه مجاعات قسنطينة وفسر علل الأزمة التي حدثت نتيجة العديد من الأسباب منها انقباض الفلاحين عن الحراثة لما غمرهم من فتن وأهوال واعتداء الأعراش على بعضها البعض نتيجة البلبلة التي تركها الإحتلال الفرنسي بمدينة قسنطينة.[5]

3. إقتصاديا:

مما لاشك فيه أن الباحث في التاريخ المعاصر للجزائر مطلع القرن التاسع عشر قد اهتم بدراسة الوضعية الإقتصادية التي تميزت بتعدد النشاط الإقتصادي لمختلف المجالات لكن التدهور الذي أصابه بعد منتصف القرن السابع عشر إلى غاية الإحتلال الفرنسي 1830م، الذي كان بفعل العديد من العوامل التي أدت إلى ذلك التقهقر منها الاعتداءات

---

[1] بشير (سعاد)، مقطع (شريفة)، الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية في الجزائر بداية الإحتلال (1830_1870م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي _أم البواقي، 2020_2021م، ص98.

[2] علامة (صليحة)، الأحوال الصحية بالجزائر خلال الإحتلال الفرنسي (1830_1962م) الجزائر نموذجا، رسالة دكتوراه، إش: بودواية (مبخوت)، جامعة أبي بكر بلقايد _تلمسان، 2016_2017، ص98.

[3] الطاعون: هو مرض معدي تسببه جرثومة اليارسين وقد أعاد العلماء سبب تكون هذه الجرثومة بسبب تلوث وتسمم الجو بفعل الرائحة الكريهة لجثث الجراد الميت المتعفن بعد كل إجتياح للبلاد. ينظر: علامة (صليحة)، "تاريخ الأمراض والأوبئة في الجزائر (الجذري، الطاعون، التيفوس)"، القرطاس، العدد 02، جانفي 2015، ص ص209–220.

[4] سعدون (جهاد)، الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية والثقافية في الجزائر عشية الإحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، بوغدادن (الأمير)، جامعة محمد خيضر_ بسكرة، 2014_2015، ص16.

[5] العنتري (صالح)، مجاعات قسنطينة، تح: رابح بورنار، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ت، ص15.

الأوربية وسياسة الإدارة العثمانية التي ميزها إجحاف النظام الضريبي اتجاه الأنشطة الاقتصادية (زراعة، صناعة، تجارة).[1]

فلو عدنا إلى ما كانت تتمتع به الجزائر قبل الإحتلال من خيرات وإمكانيات ضخمة وأراضي خصبة، خاصة بعدما كان النشاط الزراعي سائدا على الإيالة أما الصناعة فقد شملت صناعات متعددة منها صناعة السفن، الأسلحة، صنع البنادق، والتي تركزت في المدن الكبرى مثل: قسنطينة والجزائر.[2]

وبالرغم من أن هذه التطورات إلا أنها بقيت مرحليا فقط في القرون الأولى منذ بداية القرن الثامن عشر حيث بدأ التراجع والتقهقر[3] في نشاطها الإقتصادي لاسيما أنها كانت تعتمد على إرضاء متطلبات أسواق المدن والأرياف من المصنوعات اليدوية مثل الأغطية الصوفية ،البرانس، الزرابي ... إلخ، أما بالنسبة للقطاع التجاري فقط عرف هو الأخر ركودا بسبب إهمال العلاقات التجارية مع إفريقيا والدول الأوربية وذلك بسبب القرصنة[4] على الحياة الإقتصادية في الإيالة فأصبحت الجزائر أقل بلدان المغرب العربي حظا في ميدان التجارة العالمية.[5]

---

[1] شافو (رضوان)، لمقدم (عمر)،نظرة حول الأنشطة الاقتصادية في الجزائر خلال العهد العثماني، **مجلة قبس للدارسات الإنسانية والاجتماعية** ،ع: 1 ،جوان 2017،ص ص 63_82.

[2] سعدالله (أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث وبداية الإحتلال، دط، **الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر**، 1989، ص15.

[3] من أسباب هذا التقهقر أيضا تصلب السلطة في جمع الضرائب إلى جانب احتكار اليهود في التجارة. ينظر: شريف (شهيرة)، النشاط الإقتصادي للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني (1518_1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إش: عاشور (قويدر)، جامعة محمد بوضياف _المسيلة، 2017_2018، ص67.

[4] القرصنة: يعرف الفقيه بيلا (PELLA) القرصنة بأنها أفعال يتم ارتكابها بدافع المكاسب الخاصة وهي موجهة ضد الأشخاص بذواتهم من أجل سلب أموالهم في أماكن لا تخضع لسيادة أي دولة معينة. ينظر : عمراني (نادية)، القرصنة البحرية وتميزها عن الأعمال المشابهة لها، مجلة البحوث والدراسات السياسية، العدد ،06 جوان 2013، ص ص 132-147.

[5] هلايلي (حنيفي)، أوراق في تاريخ الجزائر العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص 157.

4. الثقافية:

لقد عرفت الحياة الثقافية في الجزائر مطلع القرن التاسع عشر تراجعا، فلم تكن هناك حركات فكرية والإنتفاضات علمية، أو متأثرة بالبلاد الأوربية فقد كان إنتاج اللغة العربية ينحصر في الموضوعات الدينية أو التعليمية، وفي الوقت الذي يمكن فيه للثقافة أن تتحرر واجه الجزائريون الإحتلال الفرنسي، فنزح الأدباء والعلماء[1] إلى المشرق وبعثرت المكتبات وحوربت لغة التعليم[2] وأغلقت المدارس، وهكذا فقد شهدت الجزائر نكسة عميقة أدت إلى تأخر الدراسات العربية.[3]

وفي هذا الصدد يمكننا أن نستعرض أهم ملامح الحياة الثقافية مطلع القرن التاسع عشر منها جانب التعليم الذي كان يقدم في مراكز مختلفة وكل واحد يقوم بوظيفته إضافة إلى إنتشار الكتاتيب، التي خصصت لحفظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ الحساب، إضافة إلى الفقه وقواعد الصرف، ومن أهم منابع التعليم أيضا الزوايا والتي من بينها نذكر زاوية سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وزاوية زواوة إضافة إلى المدارس التي خصصت لإلقاء الدروس في التفسير.[4]

---

[1] من بين العلماء الذين هاجروا ابن الكماد (محمد بن أحمد القسنطيني) الذي رحل على المغرب وهو من عائلة شهيرة بالعلم والشرف تولت القضاء والتدريس والإفتاء في قسنطينة، أيضا من بين الأسباب لهذا النزوح عدم إهتمام الإيالة بالجانب الثقافي وتورط العلماء في المشاكل السياسة مثل (عيسى الثعالبي) الذي هاجر على المشرق. ينظر: سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م–1830م، ج: 1، ط: 1، دار الغرب الإسلامي 1998م ، ص ص 428– 429.

[2] كان الإنتاج العلمي أيضا في هذه الفترة محصورا في بعض التفاسير وقد غلب عليه طابع التقليد من حيث التفكير كما أصبح أسلوب علماء القطر أغلبه مشوب بألفاظ عامية زيادة على ذلك ركاكة في التركيب لاسيما في العقود الشرعية والخطب المنبرية. ينظر: سايحي (هجيرة)، الحياة الثقافية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إش: صالحي (منى)، جامعة محمد بوضياف–المسيلة، 2017–2018، ص36.

[3] سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق، ص195.

[4] مريخي (رشيد)، "الحياة الثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني"، مجلة الحكمة والدراسات التاريخية، ع: 12، ديسمبر 2017، ص ص 146–233.

ومن أهم ما مثل الثقافة أيضا الطرق الصوفية الدينية في الجزائر التي إنتشرت في الجزائر منها الطريقة الرحمانية، التي أسسها، عبد الرحمان الأزهري الجرجري القشتولي، الذي كان من قبائل جرجرة وقد إهتمت هذه الطريقة بالتعليم الإسلامي الديني ومن أهم الطرق الصوفية أيضا نذكر الدرقاوية وغيرها من الطرق الصوفية أيضا التي إشتهرت بكثرة الذكر والعبادة والعزلة والإبتعاد عن ملذات الدنيا.[1]

وبناءا على أغلب الدراسات التاريخية والسياسية والثقافية والإقتصادية التي ذكرناها من قبل، فالخلاصة التي يمكن استنتاجها هي أن الجزائر قد عرفت خلال القرن التاسع عشر مجموعة من التغيرات السياسية التي أثرت بصفة تدريجية على باقي النواحي والجوانب الأخرى خاصة مع دخول الإحتلال الفرنسي الذي مارس النهب والتنكيل وقلب الموازين رأسا على عقب.

ثانيا: الخلفيات التاريخية للإحتلال الفرنسي للجزائر

1. طبيعة العلاقات الجزائرية الفرنسية:

لقد ربطت الجزائر بفرنسا علاقات منذ القرن السادس عشر ميلادي، حيث عقدت معها مجموعة من المعاهدات والإتفاقيات سواء من الناحية السياسية أو الإقتصادية إبتداءا من 1619م إلى 5 جويلية 1830م بحوالي 57 معاهدة، ومن بين هذه المعاهدات نذكر منها السياسية بالخصوص معاهدة السلم التي إنعقدت في 24 أفريل 1684م بعد عشرين يوم من المفاوضات بين الطرفين، بحيث تم الإتفاق على معاهدة مدتها مائة عام وتضمنت 29 عام بندا وأثبتت مجموعة من الترتيبات منها إقامة السلم بين إمبراطور فرنسا ومعالي الداي

[1] شيخي (خديجة)، المقاومة الثقافية في فكر الأمير عبد القادر، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: حقيقي (نوردين)، جامعة الجزائر أبو القاسم سعد الله، 2016،2017، ص 214.

والديوان حتى يستطيع رعايا الدولتين من ممارسة تجارتهم والإبحار بكل أمان بدون التعرض لهم لأي سبب وتحت أي ظرف.[1]

إلى جانب المعاهدات الإقتصادية التي عقدت بين الطرفين والتي حصلت منها فرنسا على العديد من الإمتيازات[2] ومن أهم هذه المعاهدات المعاهدة التي إنعقدت في 23 أفريل 1684م الخاصة بالباستيون[3] بحيث أبرمت هذه المعاهدة بين إيالة الجزائر والسيد دويس والذي منح له رخصة الاستقرار في كل من القالة، رأس الحمراء، القل، بجاية، جيجل والأماكن الأخرى التابعة لها الخاصة بصيد المرجان والتجارة المرتبطة بهذه الموانئ ومن أهم البنود التي تم تحديدها في هذه المعاهدة نذكر البند الأول الذي أعلن عن امتلاك السيد ديسو لباستيون فرنسا وغيرها من البنود التي حصل من خلالها على العديد من الإمتيازات.[4]

لكن سرعان ما بدأت العلاقة بين الجزائر وفرنسا تتوتر خاصة مع التاجرين اليهوديين وخاصة بعدما أصبح التعامل التجاري مع فرنسا بواسطتهما بدفع الديون عن الحكومة الفرنسية، ومع مرور الزمن عجزت الحكومة الفرنسية عن دفع مستحقات التاجرين وتراكمت عليهما وبذلك أقحمت التاجرين في قضية الديون مما أدى إلى نشوب أزمة حادة بين

---

[1] كرانيف (آسيا)، عبدلي (نسيمة)، الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال المصادر المحلية وانعكاساتها المحلية والدولية (1827_1846)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إش: صرصاق (سفيان)، جامعة الجيلالي بونعامة _خميس مليانة، 2019_2020، ص ص38_41.

[2] الامتيازات: لقد تعدد المفهوم الإصطلاحي للإمتيازات بين المؤرخين، فهي تلك المعاهدات المتضمنة المبادئ القانونية لإقامة المستأمنين من رعايا الدول الأجنبية، في ممتلكات الدولة العثمانية وممارسة نشاطهم التجاري المشروع فيها. ينظر: العيش (سارة)، موساوي (خديجة)، الإمتيازات الفرنسية في الجزائر خلال العهد العثماني (1604_1830م)، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، إش: قاصيري (محمد السعيد)، جامعة محمد بوضياف_المسيلة، 2016_2017، ص8

[3] يعتبر باستيون القالة أهم مؤسسات الشركة الملكية من حيث المرافق المكونة أو عدد الموظفين من الإداريين كما يعتبر علاوة على ذلك المقر الإداري الرئيسي للشركة والمؤسسات الأخرى. ينظر: لعريبي (إسمهان)، أرشيف الامتيازات الاقتصادية ودوره في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية (الدفاتر اليومية للشركة الملكية الإفريقية أنموذجا)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 12، جانفي 2015، ص ص 100-116.

[4] كرانيف (اسيا)، عبدلي (نسيمة)، المرجع السابق، ص ص 38_41.

الطرفين إنتهت بحادثة المروحة الشهيرة وإحتلال الجزائر والتي كانت نتيجة المخططات الفرنسية، والتي سنتعرض لها لاحقا.[1]

2. المشاريع والمخططات الفرنسية للإحتلال الجزائر:

إن الدراسات الحديثة للعلاقات الجزائرية الفرنسية تكاد تجزم أن المحاولات الفرنسية الأولى لإحتلال الجزائر لم تبدأ منذ القرن التاسع عشر ميلادي، وإنما ترجع إلى عهود سابقة بداية من عهد ملك فرنسا لويس التاسع (Louis IX)، أي منذ القرن الثالث عشر ميلادي للتوسع إلى مشاريع بعد حصول فرنسا على الإمتيازات التي كانت بمثابة أطماع حقيقة سعت فرنسا إلى تحقيقها عبر قناصلها وقادتها العسكريين الذين كانوا يعدون مشاريع مبنية على مخططات وتقارير تهدف كلها للإستيلاء على إيالة الجزائر[2]، ومن هذه المخططات نذكر ما يلي:

أ. مخطط لوماي 1800م:

من أهم المخططات والمشاريع الفرنسية لإحتلال الجزائر مخطط لوماي (Philipe Maye) 1800م والذي قدم معلومات مختلفة، وقيمة حول إيالة الجزائر من كل الجوانب السياسية، الإقتصادية، العسكرية، وقدم كل المعلومات التي تتعلق بتعدد القوات البحرية والبرية وكذا التحصينات وعلى أساسها إقترح خطة عسكرية للإستيلاء على المدينة التي تعتمد على النزول المفاجئ والقوي والسريع في شرق مدينة الجزائر وغربها في نفس الوقت، ثم الإستيلاء على برج مولاي الحسن مع تأكيده إنهاء الحرب في ظرف 24 ساعة بإحتلاله للجزائر إذ ما كان قائد الحملة محنكا في فن الحرب وذي خبرة واسعة في المجال العسكري مقدرا عدد الجيش الفرنسي مابين 30.000 و40.000 جندي مبرزا في ختام مخططه

[1] مقلاتي (عبد الله)، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830_1954م)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، 2014، ص ص9_10.

[2] قندوز(عبد القادر)، المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر من (1741–1830م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ،العدد 14 جوان 2018، ص ص61–75.

الفوائد التي سوف تجنيها فرنسا في حربها ضد الإيالة بالإستيلاء على الخزينة وكذا إستغلال الأراضي الشائعة لزراعة الكروم.[1]

ب. مخططي ديبو تانفيل (1801-1809م):

من أهم المخططات والمشاريع الفرنسية أيضا مخطط ديبو تانفيل (Deepu Tanville) 1801م الذي ساهم في توتر المواقف بين البلدين وجعل علاقاتها تقف على فوهة بركان وفي حالة من التشنج المستمر فقد سعى دائما إلى تأليب حكومته ضد الإيالة والدعوة إلى غزو الجزائر في كل مناسبة.

وفي 18 من نوفمبر 1809م، حرر مذكرة ثانية حول الجزائر سلمها مباشرة لوزير العلاقات الخارجية دي شامبانيي في 26 ورقة تضمنت شتى المواضيع من مساحة المملكة والمدن الرئيسية ومختلف طبقاتهم وطبائع السكان وغيرها من المعلومات المتعلقة بإيالة الجزائر خاصة وأن ديبوتانفيل كان قد عقد العزم منذ عهد القنصلية على إرسال حملة عسكرية ضد الجزائر ثم عاد مرة أخرى إلى التفكير بجدية في هذه النقطة في عهد الإمبراطورية وأرسل المهندس بوتان[2] لإستطلاع المدينة وضواحيها.[3]

---

[1] محجوبي (زهرة)، المخططات الفرنسية لاحتلال الجزائر(1741-1830م)، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، العدد 01، جانفي 2020، ص ص85-104.

[2] بوتان: الاسم الكامل له هو فانسون إيف بوتان ولد في 1772م في قرية صغيرة لوروبوترو الواقعة بضواحي نانت على المجرى الأدنى لنهر اللوار،له خمسة اخوة تمتع بالذكاء الخصب والورع الديني، تحصل على شهادة معلم في الفنون وهو صاحب مشروع بوتان الخ .ينظر:عزيل (تسعديت)، قاسي (وزنة)، مشروع بوتان ودوره في الإحتلال الفرنسي للجزائر (1808-1830)، إش: زهار (سعيد) ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة آكلي محند أولحاج البويرة، 2018-2019، ص 17.

[3] قندوز(عبد القادر)، المرجع السابق، ص ص 61-75.

ج. مخطط بوتان 1809م:

وفعلا من أهم المشاريع الفرنسية التي نجحت بإحتلال الجزائر مشروع بوتان الذي يعتبر من أهم المشاريع التجسسية التي وضعت للتحري عن إيالة الجزائر خلال القرن التاسع عشر إذ ما قورنت بالمشاريع التي سبقته بسبب المعلومات الوفيرة التي قدمها بحيث سلم نابليون عام 1809م، بحث إحتوى على 39 ورقة مكتوبة و15 رسم تخطيطي موجود بأرشيف الوزارة الحربية بفانسان وركز من خلاله على عدة أمور من بينها إختيار المكان اللائق لإنزال القوات وكذا عدة الجيش الذي سيقابله الجيش الفرنسي كما ركز على أهم الجوانب التي تخص إيالة الجزائر من العتاد الحربي وإقترح خطة الهجوم على الجزائر، وختم بوتان في تقريره المسافات التي تفصل بين مدينة الجزائر والمدن الأخرى التي سيحتاج إليها الجيش في توسعاته داخل البلاد.[1]

لقد برزت لنا نوايا فرنسا في إحتلال الجزائر أنها لم تكن حديثة العهد، بل منذ القدم وتعددت هذه المخططات من مخطط لآخر ذكرنا أبرزها مثل مشروع بوتان الذي كان له الأثر البالغ في إحتلال الجزائر طبقا لما صممه ضمن مخططه التجسسي.

3. دوافع فرنسا لإحتلال الجزائر:

كانت فرنسا مدفوعة في غزوها للجزائر بأسباب عدة ولكنها إدعت أمام الرأي العام الأوروبي أن هدفها القيام بحملة تأديبية ضد الداي، وفي حقيقة الأمر فإن فرنسا كانت تخطط لإحتلال الجزائر والإستيلاء عليها منذ 1792م، أي سنة إبعاد إسبانيا وتصفية قاعدتها العسكرية في المرسى الكبير بوهران فقد كانت هناك رغبة قوية للتجار الفرنسيين والقيادة السياسية بتلك البلاد أن تدخل فرنسا محل اسبانيا في شمال إفريقيا وتسيطر على هذه المنطقة الغنية بالثروات الطبيعية وبصفتها موقعا استراتيجيا هاما من الناحية العسكرية

[1] عزيل (تسعديت)، قاسي (وزنة)، المرجع السابق، ص ص 36-41.

فإن الجيش الفرنسي كان يسعى بإستمرار لتقوية أسطوله وإنهاء السيطرة الإنجليزية[1] في حوض البحر المتوسط[2] ويمكن تلخيص الأسباب فيما يلي :

فمن بين الأسباب المباشرة التي تذرعت بها فرنسا لشن العدوان هي حادثة المروحة فقد جرت العادة أن يقوم قناصل الدول المعتمدون بالجزائر عشية عيد الفطر بزيارة إكرام وتهنئة للداي بتلك المناسبة وفي أمسية عيد الفطر سنة 1243 للهجرة الموافق لـ 29 أفريل 1827م مما أبدى الداي للقنصل الفرنسي دوفال (Pierre Deval) إمتعاضه من تماطل الحكومة الفرنسية بتسديد ديونها للجزائر واشتكى من عدم اكتراث الملك شارل العاشر وحكومته بالرد على رسائله المتكررة، فكان رد القنصل وقحا كما ذكر شهود العيان قائلا "إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم".[3]

وبعد النقاش الحاد الذي دار بين الطرفين اشتد غضب الداي من هذه التجاوزات الشائنة وضرب القنصل بمروحته على حسب ما ذكرته أغلب الكتابات التاريخية واعتبرت فرنسا أن هذه الحادثة إهانة لا يمكن السكوت عنها وطالبت الداي بتقديم إعتذار عما حصل للقنصل

[1] لقد سعت إنجلترا إلى السيطرة على الجزائر وهذا ما وضحه شارل العاشر من خلال المصادر الأجنبية، ووضح أهم توسعاتهم في آسيا وتنافسهم مع الدول الأوروبية مثل ما أخذوه من الهولنديين من رأس الرجاء الصالح وإزاء هذا الوضع كان رد فرنسا مباشرا من خلال الحملة ضد الجزائر. ينظر:

Sous la direction Abderrahmane Bouchéne et d'autres, HISTOIRE DE L'ALGERIE A LA PERIODE COLONAILE, 2014, HARVARD COLLEGE LIBRARY, VERITAS, p 02.

[2] الصلابي (محمد علي)، كفاح الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، د ط، دار المعرفة، لبنان بيروت، 2015، ص351.

[3] بوعزيز(يحي)، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500_1830م ويليه المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد 1780_1798م، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 129.

دوفال[1] وحينما رفض ذلك تصاعدت حدة التوتر بين الدولتين وعمدت فرنسا إلى فرض حصار بحري وإحتلال الجزائر.[2]

ويرجع محمد الطيب العلوي في كتابه مظاهر المقاومة الجزائرية أن أهم دوافع الإحتلال الفرنسي ظهور التنافس الإستعماري الإقتصادي بين فرنسا وانجلترا[3]، إذ كانت تحاول كل منهما التوسع وتمديد رقعة سيطرتها وتجارتها بإحتلال مناطق أخرى وقد عبر عن هذا الجنرال جيرافورد بقوله "... أن هذا الإحتلال يستند إلى ضرورات هامة جدا ويرمي إلى فتح منفذ واسع لتصريف بضائعها".[4]

كما يذهب عمار بوحوش إلى إرجاع أسباب إحتلال الجزائر منها إنهزام الجيش الفرنسي وفشله في إحتلال مصر والإنسحاب منها تحت ضربات القوات الإنجليزية.

من أهم الأسباب التي يمكن أن نوجزها أيضا هي رغبة فرنسا في إحياء المدرسة الإستعمارية وكذلك إنشاء إمبراطورية فرنسا العظمى على حساب الجزائر ،ورغبتها جاهدة في استغلال ثرواتها التي لا تعد ولا تحصى ومن جهة أخرى تبلورت فكرة الإحتلال الفرنسي إلى الوقائع التاريخية التي لطالما حملت الحقد المسيحي للمسلمين الذي يعود إلى أيام لويس التاسع عشر وغيرها من الأسباب الأخرى. [5]

---

[1] دوفال: يعد من الشخصيات المخضرمة، فقد تولى مهاما ديبلوماسية في عهد لويس 18 ، ثم عهد شارل العاشر، بادر إلى إرسال تقارير عن إيالة الجزائر وأكد صعوبة إحتلالها، ينظر: حصاد (عبد الصمد)، مشاريع الإحتلال الفرنسي للجزائر 1782م–1829م ، مجلة متون، العدد التاسع، 2021م ص ص 180 192.

[2] الطيب العلوي (محمد)، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830م إلى ثورة نوفمبر1954م، ط1، دار البعث، الجزائر، 1985م، ص23.

[3] بوحوش(عمار)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1964، ص 79.

[4] عزيل (تسعديت)، قاسي (وزنة)،المرجع السابق، ص ص 50_56.

[5] كرانيف (اسيا)،عبدلي (نسيمة)،المرجع السابق، ص 53.

ثالثا: الإحتلال الفرنسي للجزائر والحملة الفرنسية للجزائر .

1. الحصار الفرنسي للجزائر.

قبل التحدث عن الحملة ومجرياتها هنا يجب الرجوع إلى المسرحية التي مثلها دوفال وأوجد لبلاده مبررا للعدوان على الجزائر ولاشك أن الظروف كانت مواتية لتعلن فرنسا الحرب والحصار على الجزائر يوم 16 جوان 1827م، وتكشف عن نواياها قبل حادثة المروحة وهو ما تؤكده وثيقتان منها الأولى المؤرخة في 7 ديسمبر 1826م تضمنت نية حكومة فرنسا في فرض الحصار البحري على الجزائر.[1]

خاصة بعدما عرفت إيالة الجزائر أزمة سياسية اقتصادية حادة شملت أنحاء البلاد منذ مطلع القرن الثامن عشر وهذا بموازاة التقدم الصناعي والتقني الذي مكن الدول الأروبية من تحدي هذه القوة الجزائرية هذا الضعف الذي نخر إيالة الجزائر وساهم في نجاح الحصار حسبما ذكره الدكتور حنيفي هلايلي في كتابه العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الإيالة.[2]

وبدأت فرنسا في فرض الحصار على الجزائر من ناحية البحر غير أن الداي حسين وسكان مدينة الجزائر لم يهتموا بهذا الحصار لأنهم إعتادوا على الحملات الأوربية والإعتداءات المتواصلة على الجزائر وإعتبرته الجزائر مجرد حركة حربية سرعان ما تزول كالتي سبقتها.[3]

وقد إستمر هذا الحصار لمدة طويلة وكانت عواقبه وخيمة على الجزائريين كما كلف فرنسا خسائر كبيرة قدرت بثمانين مليون فرنك سنويا حاول الطرف الفرنسي إيجاد الحلول لتسوية النزاع بين الطرفين وعند استحالة ذلك جهزت فرنسا حملة فرنسية كبيرة.

---

[1] مقلاتي (عبد الله)، المرجع السابق، ص ص 10.

[2] هلايلي (حنيفي)، العلاقات الجزائرية الأروبية ونهاية الإيالة (1815_1830م)، ط1، دار الهدى، الجزائر،2007، ص75.

[3] ناهي (أسماء)، بلال (أمينة)، الإمتيازات الاقتصادية في الجزائر 1800_1830م، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إش: قلفاط (عبد الباسط)، جامعة الجيلالي بونعامة_خميس مليانة، 2015-2016، ص58.

وبعد ثلاث سنوات من الحصار ورفض الداي على تقديم الإعتذار خاصة بعد تصاعد القوة اللبيرالية لنظام مملكة البوربون، قرر مجلس الوزراء الفرنسي يوم 31 جانفي 1830م تنظيم حملة على مدينة الجزائر حدد الوزير الأول بولونياك أهدافها في رسالة إلى سفير فرنسا الدوق دوفال بقوله: "...هناك مصلحتان متمايزتان ولكنها متصلتان إتصالا وثيقا إحداهما تخص فرنسا بالدرجة الأولى وهي الثأر لشرف رايتنا والحصول على تصحيح الأخطاء التي كانت السبب المباشر في النزاع وغيرها من الأسباب التي بررتها فرنسا، أما المصلحة الثانية التي تهم البلاد المسيحية عامة والتي من بينها إلغاء الرق والمسيحية ودفع الجزية التي مازالت تدفعها أوروبا إلى ولاية الجزائر.[1]

2. أسباب الحملة الفرنسية على الجزائر:

تعود أسباب الحملة الفرنسية على الجزائر إلى مجموعة من الأسباب المختلفة منها:

من بين الأسباب السياسية التي جعلت فرنسا تفرض حملتها على الجزائر هي الهزائم المتلاحقة التي منيت بها أوروبا جعلتها من الضروري تتطلع إلى آفاق جديدة وإحتلال بلاد أضعف منها قوة، إضافة إلى رغبة فرنسا في توثيق علاقاتها مع الجزائر من أجل تحقيق مكاسب سياسية للدولة الفرنسية في إحتلال الجزائر بغية إتخاذها كقاعدة للسيطرة على ما أمكن من دول القارة السوداء واستغلال خيراتها الطبيعية الكثيرة.[2]

أيضا من بين الأسباب التي أدت إلى رغبة فرنسا في إحتلال الجزائر أكثر منها الاقتصادية والتي تمثلت في دخول فئة من اليهود الذين تكونت لهم ثروات ضخمة عن طريق ممارسة الربا في المعاملات التجارية على حساب خزينة الدولة الجزائرية وهذا ما أثار غضب الأهالي وسخطهم على الوضع أما خارجيا فقد تمثلت في إصدار فرنسا على أن تجعل الجزائر والبلدان المجاورة لها سوقا تجارية لتصريف منتوجاتها الفائضة والحصول على

[1] عباد (صالح)، المرجع السابق، ص 245.

[2] كرانيف (آسيا)، عبدلي (نسيمة)، المرجع السابق، ص53.

المواد الأولية الضرورية للصناعة التي أصبحت فرنسا في أمس الحاجة لها بعدما فقدت الألزاس واللورين ومستعمراتها القديمة في الهند وأمريكا.[1]

أما دينيا فهي من بين الأسباب الهامة التي دعت فرنسا إلى الغزو هي إنقاذ المسيحية من أيدي البحارة الجزائريين والقضاء على عرش القرصنة فقد كانت فرنسا من بين الدول التي اعتبرت نفسها زعيمة للمسيحية وان تنظيم حملة عسكرية ضد الجزائر والإنتصار فيها هو في الحقيقة انتصارا للمسيحية على الإسلام.[2]

3. مجريات الحملة ونتائجها:

كما سبق وأن تطرقنا إلى أسباب الإحتلال الفرنسي عامة والحملة الفرنسية خاصة، كان رد فرنسا سريعا بحيث أرسلت مجموعة من سفنها بقيادة الضابط كولي وصل بها إلى ساحل الجزائر في 12 أوت 1827م، والتحق به القنصل دوفال على ظهر سفينة لابروفانس وطلب من الداي حسين[3] زيارة رسمية يقدم فيها إعتذارا رسميا وفي حالة عدم الإستجابة يعلن الحصار.[4]

وبعد عدم استجابة الداي لطلب فرنسا قامت هذه الأخيرة بفرض الحصار والذي سبق أن تطرقنا إليه طيلة السنوات الثلاثة التي سبقت نزول الجيش الفرنسي بسيدي فرج 14 جوان 1830م، وأمام الضربات الموجعة التي تلقتها الجزائر قامت بإنزال قواتها بسيدي فرج وفرض

---

[1] كيرواني (ياسمين)، علاق (خولة)، الحصار الفرنسي على الجزائر وموقف الدولة العثمانية، يوسف (قاسمي)، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2016_2017، ص ص41_42.

[2] زميش (هدى)، عبدلي (سعاد)، الجزائر في عهد الداي حسين، رمضان بورغدة، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، جامعة 8ماي_قالمة، 2016-2017، ص 101.

[3] عمورة (عمار)، الموجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة، الجزائر، 2002، ص112.

[4] الداي حسين: آخر دايات الجزائر في العهد العثماني حكم الجزائر مابين (1818-1830م)، كما قام بإعادة تنظيم الجيش الانكشاري وإصدار العفو الشامل في حقهم وغيرها من الأعمال التي ميزت عصره. ينظر: شيخ (فاطمة)، الداي حسين آخر شخصية عثمانية تحكم الجزائر، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 09-10، ص ص 459-476

الحملة على الجزائر[1]، بحيث إنطلقت الحملة من ميناء طولون يوم 25 ماي 1830م بقيادة الماريشال ديبورمون وضمت 37617 رجلا و4000 حصان، و154 مدفع و675 سفينة وصلت إلى شبه جزيرة سيدي فرج مساء يوم 23 ذي الحجة وبعد الإنزال بعد يوم من ذلك دون مقاومة طبقا لخطة المهندس بوتان الذي وضعها بتكليف من نابليون سنة 1808م والتي تضمنت أن أنجع طريقة لأخذ الجزائر هي النزول بسيدي فرج وفعلا تم مهاجمة المدينة من ناحية الجنوب لعلمه بإهمال الأتراك التحصينات البرية واكتفائهم بالدفاعات البحرية القوية.[2]

ومن أهم المعارك الطاحنة بين الطرفين معركة سطاوالي بحيث احتشد في مواجهة الغزاة بسطاوالي حسب ما ذكر جمال قنان في كتاباته "... فتعداد القوات الجزائرية حسب المصادر الفرنسية التي كانت موجودة في معسكر سطاوالي صبيحة المعركة لم تتجاوز ثلاثين ألف جندي ."[3]

وبعد ذلك إنطلقت القوات الجزائرية من مواقعها عند معسكر سطاوالي إلى صبيحة يوم السبت 19جوان 1830م،مستغلة ضباب الصباح الذي غطى المنطقة، ودارت رحى هذه المعركة أسفرت عن هزيمة للقوات الجزائرية فقدت من خلالها الآلاف من رجالها في حين لم تتجاوز خسائر الفرنسيين حسب أغلب المصادر 409 قتلى حتى 5 جويلية 1830م[4].

وقد ترتب عن هذه الحملة مجموعة من النتائج منها السياسية والتي تمثلت في توقيع الداي حسين لمعاهدة الإستسلام يوم 5 جويلية 1830م وتسليمه لفرنسا المنتصرة كما أسمتها

---

[1] كرانيف (آسيا)، المرجع السابق، ص60.ذ

[2] سعيدوني (ناصر الدين)، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص333.

[3] بلاح (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، د ط، ص ص 52 53

[4] [4]قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، د ط، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1999، ص94.

بعض المصادر الأجنبية، إضافة إلى تنازله عن المدينة والقصبة والحصون، كما فرضت فرنسا نيرها على جزء من السواحل البربرية[1] .

ودخول القوات الفرنسية للجزائر وإنزال رايات الدولة الجزائرية وهذا ما صرح به شونبيرغ إضافة إلى مغادرة الداي حسين يوم10جويلية 1830إلى نابولي فالإسكندرية التي توفي بها سنة 1834م، ومن أبرز النتائج هي تحويل الجزائر إلى ملكية فرنسية وتقسيمها إلى منطقة مدنية مقترحة للإستيطان الأوربي ومنطقة عسكرية تخضع للحكم العسكري بسبب صعوبة الاستيطان نتيجة الظروف المناخية والجغرافية وقد عاث الجيش الفرنسي في البلاد فسادا فقد قام بنهب أموال الأهالي وكنوز القصبة بمساعدة اليهود.[2]

كما إستطاع الإحتلال الفرنسي أن يقضي على البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري ومحاولته تفكيك وحدة الشعب الجزائري بإتباعة سياسة فرق تسد بهدف تشتيت الشعب وعزلته وبالفعل إختفت فئتان إجتماعيتان من المجتمع الجزائري منهم الكراغلة، فقد حاول المستعمر تضليل فئة القبائل الخاضعين للتعلم الفرنسي بحقائق وهمية بهدف خلق الفئة من الجزائريين المواليين لفرنسا وضمان استقرارهم للشعب الجزائري.[3]

[1] RINN (LOUIS) ,LE ROYAUME D'ALGER SOUS LE DERNIER DEY, PLACE DU GOUVERNEMENT, ALGER, 1900, p 01.

[2] إيمان جنادي، الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال رحلة الضابط شوبيرنغ عرضا وتحليلا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إشك بلعمري (فاتح)، جامعة محمد بوضياف _المسيلة، ص ص 39-40.

[3] جنادي (إيمان)، المرجع السابق، ص 40.

رابعا: واقع الغرب الجزائري وردود الفعل الأولى "مقاومة الأمير عبد القادر أنموذجا"

1. واقع الغرب الجزائري إبان دخول الإحتلال الفرنسي

لقد إختلف واقع الغرب الجزائر عن شرقه تماما فبعد دخول الإحتلال الفرنسي للجزائر إنهارت ثلاثة مؤسسات للدولة (القيادة، الإدارة، الجيش) وتحللت القبائل المخزنية والدواوير من السلطة وفقدت الحماية والدعم منها كما شعرت قبائل الرعية بحرية الحركة ورفع الضرائب على كاهلها، فسادت الفوضى وثارت البعض القبائل على بعضها البعض كما سادت الاضطرابات والخلافات السائدة بين الطرق الصوفية خاصة الدرقاوية[1] والتيجانية وفئة الأجواد.[2]

أمام هذا الوضع المتردي لجأ سكان الغرب الجزائري إلى حضرة السيد محي الدين والزموه ان يقبل بيعته ويكون قائدا لهم إلا أنه اعتذر لعجزه وكبر سنه ورشح ابنه عبد القادر لتولي المهام فبايعوه بالإمارة سنة 1832م، لإكتمال شروط الزعامة وتكامل المؤهلات التي تجعله كفِؤا لهذه المكانة ووجه خطابه إلى كافة العروش قائلا" وقد قبلت بيعتكم وطاعتكم (أي أهالي وهران وما حولها)، ومن هنا بدأت المسيرة التاريخية والنضالية والجهادية للأمير عبد القادر والتي سنتحدث عنها لاحقا.[3]

2. الأمير عبد القادر والمقاومة الشعبية

فمن رحم المقاومة أنشأ الأمير عبد القادر دولته وإعتمد مجلسا للشورى إحدى عشر عضوا وكون جيشا ووضع شروطا للإلتحاق به، هذه الأخيرة التي فصل فيها كاتب الأمير

[1] الطريقة الدرقاوية : وهي طريقة صوفية سنية شاذلية، ظهرت في المغرب الأقصى وأول من دعى إليها وإلى مذهبها أحد جماعة العمرانيين اللذين استوطنوا شمال غرب مدينة فاس ومنهم الشريف ادريس. ينظر: مقديش (علجية)، الطريقة الدرقاوية في الجزائر، مفهومها ومواقفها من الإحتلال الأجنبي 1786م-1914م، مجلة التراث، العدد25، ص ص 129-141.

[2] مجادي (إبراهيم)، صافي (مجدوب)، مساهمة منطقة يلل وضواحيها في دعم المقاومات الشعبية، مقاومة الأمير عبد القادر "أنموذجا"، مجلة المنتقى للبحوث والدراسات، العدد 04، ديسمبر 2021، ص ص 109-140.

[3] تميم (آسيا)، المرجع السابق، ص18

قدور بن رويلة في كتابه وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، كما قسم دولته إلى ثمانية مقاطعات ووضع على رأس كل منها خليفة يديرها، كما أنشأ قلاعا ضمت مخابر وورشات ومصاهر للحديد[1]، وأسس دولته على الوطنية ورفض الإستعمار[2].

وبالحديث عن التاريخ العسكري للأمير عبد القادر فقد حدثنا الدكتور كمال بن صحراوي عن الإنتصارات التي حققها الأمير من خلال عقده للمعاهدات مثل معاهدة ديميشال في 1834م ومعاهدة التافنة 1837م وبالتفصيل أكثر في التاريخ العسكري فقد خاض الأمير عبد القادر العديد ممن المعارك من أشهرها معركة الغروف (KUROF) التي وقعت بين جيش الأمير والجيش الفرنسي بقيادة كلوزال، وكان ذلك في بداية ديسمبر 1835م، من لأهم المعارك أيضا معركة المقطع في 28 جوان 1835م التي إنتصر فيها الأمير عبد القادر على الجنرال تريزيل (TREZEL)، وقد جاءت نتيجة الخلاف بين الطرفين بسبب إتفاق الكرمة بين فرنسا والزمالة والدواوير بزعامة مصطفى ابن اسماعيل، من أهم نتائجها إهتزاز فرنسا لمكانتها[3]، فقد شكل الأمير عبد القادر خطرا جسيما حسب رؤية الجنرالات الفرنسيين منهم سولت (SOULT) وبوير (BOER)[4].

هذه بداية القائد الشاب بطل الإستقلال الجزائري وصاحب المواقف الخالدة بين سنتي 1832-1847م الذي تمثل في عبقريته عراك أمة وكفاح، ستة عشر عاما في الحروب لم يدع فيها القتال أو الصدام والكر والفر دفاعا عن حرمة الدين وحرية الوطن والشهيد ظهرت

---

[1] بن صحراوي (كمال)، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الإحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن 19 شخصيات-أماكن – أحداث، ط1، منشورات ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، 2020، ص ص 56-175.

[2] EMERIT (MARCEL), L'ALEGRIE a l'époque d'ABD-EL KADER, présentation de René Gallisot, 1st edition Bouchene, Paris, 2002, p 15.

[3] بن صحراوي (كمال)، المرجع السابق، ص ص 56-175.

[4] GALLOIS (WILLIAM), A HISTORY OF VIOLENCE IN THE EARLY ALGERIAN COLONY, 1st edition, ANGLETERRE, PALGRAVE MACMILLAN, 2013, p70.

فيها صفاته وميزاته للقيادة والزعامة، فعظمت الأمير لا تظهر في انتصاراته فقط وإنما في تغلبه على متاعبه وفي شجاعته وسط الهزائم والدعوة إلى مواجهة الويل والهزيمة، تقلب صفحات تاريخه وتسمع أقوال الخصم عنه وتنصت لنظمه وشعره وتقرأ لرسائله فتلمس رجلا قد أوتي حظا من الإيمان والثقة بالله مما جعله فوق المستوى العادي للرجل وممن إختارهم المولى عز وجل للعمل الخالد.[1]

فقد تنوعت الكتابات التاريخية وإستفاضت في دراسة شخصية الأمير عبد القادر من جميع جوانبه السياسية والعسكرية والإنسانية، هذه الأخيرة التي كانت محور دراستنا لهذا الموضوع في كافة مراحل حياة الأمير عبد القادر.

[1] رمزي (أحمد)، الإستعمار الفرنسي في شمال إفريقية، د ط، المطبعة الملكية الرباط، سوريا، لبنان، 1944، ص ص 114-116.

الفصل الأول: الأسس المرجعية لشخصية الأمير عبد القادر الإنسانية

أولا: الأصل والنسب الشريف للأمير عبد القادر

ثانيا: مولد الأمير عبد القادر ووسطه التعليمي

ثالثا: أهم رحلاته وإنتاجه الأدبي

رابعا: مواصفاته الشخصية

خامسا: التكوين الصوفي للأمير عبد القادر وأثره في إنسانيته

لعل الدارس والمتتبع لسيرة الأمير عبد القادر التاريخية، وشخصيته الفذة بجميع جوانبها ما يجعلنا نطرح الكثير من التساؤلات والاستفسارات من خلال البحث والتعمق والاهتمام أكثر لهذه الشخصية، وهذا ما ترجمته مختلف الكتابات التاريخية سواء العربية منها أو الأجنبية، فقد كان الأمير عبد القادر الرجل العالم المتمسك بدينه والقائد السياسي المحنك، كل هذه الخصال اجتمعت في شخصية الأمير عبد القادر إلى جانب إنسانيته وأخلاقه الروحية التي كانت نابعة من دينه الإسلامي، فمن هو الأمير عبد القادر؟ وإلى من يعود؟ وما أهم مزايا شخصيته التاريخية؟

أولا: الأصل والنسب الشريف للأمير عبد القادر:

لقد تحدثت الكثير من الكتابات التاريخية حول نسب الأمير عبد القادر، ففي بيان النسب نقول أنه السيد الجليل العارف النبيل الناسك العالم العامل الزاهد المتورع، السيد الحاج عبد القادر بن محي الدين[1] بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بإبن خدة (وهي مرضعته)، بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد، بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف وعظم، وقد ذكر نسب الأمير عبد القادر في العديد من المصادر والمؤلفات.[2] (ينظر إلى الملحق 01)

[1] محي الدين: والد الأمير عبد القادر ولد بوادي الحمام عام 1190 للهجرة (1776_1777م)، درس على أبيه وورث مشيخة الزاوية كما كثر عليه طلاب العلم والمعرف ومريدو الطريقة والتصوف، اشتهر بالصلاح وسداد الرأي وغزارته ومقاومته السياسية للظلم والقسوة. ينظر: بوعزيز (يحي)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص245.

[2] حرشوش (كريمة)، بن عمر(حمدادو)، النسب والتنشئة وتأثيرهما على إنسانية الأمير عبد القادر، مجلة عصور، العددين 34، 35، أفريل –جوان 2017، ص ص422_438.

ومن بين هذه المصادر والمؤلفات التاريخية نذكر ما جاء في مذكراته التي كتبها في السجن والتي تتحدث عن سيرته التاريخية بحيث قام بالتفصيل أكثر في شجرة الأمير عبد القادر التي تفرعت عنها العديد من السلاسل من نسبه فالسلسلة الأولى نجد أن لها طرفان من جهة عبد القوي، بن أحمد بن خالد بن موسى بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن محمد بن أحمد بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط.[1]

أما السلسلة الثانية فهي من جهة عبد القوي بن عبد الرحمان بن إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين السجاد بن علي ابن الحسن السبط، وهذا ما يدل على النسب الشريف للأمير عبد القادر حسب اغلب الدراسات التاريخية.[2]

فقد كان الأمير عبد القادر سليلا حقيقيا للرسول صلى الله عليه وسلم، فهو شريف حسيني يرجع نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء الخلق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو أصيل من آل البيت[3] حسب سلسلة الدراسات التاريخية التي وردت في الكثير من التراجم.[4]

---

[1] محمد بن (عبد القادر)، مذكرات الأمير عبد القادر"سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849م، تر: بناني (محمد الصغير)، ط7، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص47.

[2] بوطالب (عبد القادر)، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية من الأمير عبد القادر إلى حرب التحرير، منشورات سعد دحلب، 2009، ص ص47_48.

[3] فقد وضحت الكثير من رسائل الأمير عبد القادر لأحد الأساقفة الفرنسيين أثناء حديثه معهم: "..لعلك إكتشفت من خلال حديثنا أنني لم أولد لأكون محاربا ولو يوما واحدا، ومع ذلك حملت السلاح طيلة حياتي..". ينظر: بوشكير (عديلة)، تجليات المصطلح الصوفي ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، إش: عمر بوفارس، مذكرة ماستر في الأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحي، 2014-2015، ص62.

[4] محمد بن (عبد القادر الجزائري)، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، دار الوعي، الجزائر، 2012، ص5.

كما بينت أغلب الكتابات وأغلب المصادر العريقة صحة هذا النسب والتي من بينها ما ذكرها في كتابة تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر من أهمها كتاب جوهرة العقول في ذكر آل الرسول للشيخ عبد الرحمان بن محمد الفاسي وكتاب أزهار الرياض في آل النبي المختار للمقري التلمساني[1] وغيرها من المصادر التاريخية التي أثبتت ذلك.[2]

إلى جانب هذا اعترف الكتاب الفرنسيون العسكريون بأن الأمير عبد القادر سليل أسرة شريفة من الفرسان البواسل.[3]

وإذ فصلنا أكثر في سلالة الأمير عبد القادر وعائلته فتصف أغلب الدراسات بأنها اشتهرت بالعلم والتقوى والجهاد وكانت موضع اهتمام وتقدير من طرف الجميع في تلك الفترة، كما كان لها تأثير كبير في الحشم والقبائل الأخرى في منطقة غريس[4] خاصة.[5] (ينظر الملحق رقم 02)

[1] المقري التلمساني: يعتبر أبو العباس المقري التلمساني (1578-1631م) إحدى الشخصيات العلمية الجليلة التي ظهرت بالجزائر خلال النصف الأول من القرن 17 م، كما يعتبر نقطة مضيئة في تاريخ الثقافة الجزائرية، وهوة الأمة في جيشها. ينظر: زرمان (محمد)، مساهمة أبي العباس في خدمة العلوم الإسلامية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع: 1، ص ص152-171.

[2] محمد بن (عبد القادر الجزائري)، تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر، د ط، ج1، دار الوعي، الجزائر، 2012، ص 5.

[3] بودن (غانم)، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، مجلة تافزا للكتابات التاريخية والأثرية، العدد 02، د ت، ص ص 34_42.

[4] منطقة غريس: منطقة غريس من بين المناطق الرئيسية في الجزائر والمستقبلة للأشراف المهاجرين في تاريخ الجزائر، كما كانت مركز إشعاع ثقافي لوفرة العلم والزوايا والمدارس وتتفق أغلب المصادر التاريخية بتسميته بهذا الاسم لأنه مغروس بالأشجار وغني بغطاء نباتي كثيف ... إلخ. ينظر: مصدق (سمية)، إستقطاب منطقة غريس للأشراف، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية، ع 5- 6، جوان 2014- 2015، ص ص 273- 294.

[5] محمد بن (عبد القادر الجزائري)، المرجع السابق، ص6.

وفي هذا الصدد يرجع نسب عائلة الأمير عبد القادر خلال الفترة الوسيطة إلى الأدارسة[1] الذين كانوا ملوكا في المغرب الأوسط[2] والأندلس، ويعتبر السيد عبد القوي أحد أجداد الأمير عبد القادر الذين قدموا من المغرب الأقصى وإستقر بقلعة بني حماد قرب سطيف وذلك بعد أن إشتدت الفتن واضطربت الأحوال وأصبح يعرف منذ ذلك الحين بحاكم تفريست.[3]

وكانت أسرة الأمير عبد القادر حسب ما ذكرته المصادر الفرنسية تعتز بإمتداد حلقاتها إلى هذا المعدن الشريف، هذا بغض النظر عن شهرة العائلة ونفوذها وقداستها التي كانت تتمتع بها.[4]

وبالحديث عن أجداده أيضا فقد ذكر محمد الجوزي أن الأمير عبد القادر بن أحمد المعروف بإبن خدة وهي مرضعته أنه كان حاكما لمناطق غريس وكان عالما مهيبا فقيها تولى الرئاسة بعد موت من خلفهم من أجداده الأدارسة وألف كتبا كثيرة وتوفي رحمة الله عليه في القرن العاشر للهجرة، أما عن جده مصطفى فقد أسس الزاوية القادرية[5] نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلالي بعد أن زار مدينة بغداد 1791م واشتهرت أسرته بالورع وكانت أسرته

---

[1] الأدارسة: هي دولة علوية أسست في (172–296هجري)/ (789–908م). وإمتد حكمها إلى المحيط الأطلسي غربا من الشمال بحر الروم والبحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب جبال درن. ينظر النوري (نورالدين)، سياسة الأدارسة الخارجية إتجاه بني رستم، مجلة مدارات تاريخية، العدد السادس، جوان 2020م، ص ص 33–68.

[2] المغرب الأوسط : يشمل الأراضي الجزائرية الحديثة حتى وادي الملوية وجبال تازة الفاصلة بين المغرب الأوسط والأقصى، ويعتبر المغرب الأوسط دولة سياسية إختلفت عاصمتها من عهد لآخر، ففي عهد بني رستم الإباضي سميت وكانت عاصمتها تاهرت، إلى غاية العهد الحالي وهي الجزائر. ينظر: رجاح (جميلة)، إسهامات علماء المغرب الوسط في تنمية الدرس النحوي، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، إش: معمري (مولود)، 2015، ص10.

[3] الحسني (بديعة)، فكر الأمير عبد القادر، ج 3، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2012، ص ص20_22

[4] Bellmare. A.Abd_kader, sa politique et militaire, Edit Bouchene, Frane, 2OO3, p09

[5] الطريقة القادرية: هي إحدى الطرق الصوفية التي تميز بها العالم الإسلامي وهي منهج تربوي تعليمي منبثق من تعاليم الدين الإسلامي. ينظر: صاقني (عبد الجليل)، الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 18، 2019، ص ص151_172.

قدوة للناس في الجهاد والعلم وتوفي جده مصطفى بعين غزالة قرب مدينة برقة شرق ليبيا 1797م، عند عودته من الحج ودفن في نفس المكان وما زال قبره معروفا إلى اليوم.[1]

أما في عهد الأتراك فقد لعبت أسرة الأمير عبد القادر دورا سياسيا بارزا خاصة بعدما إتخذ والده زاوية لطلب العلم والقرآن مما أصبح له مكانة سامية له ولعلمه وشرف نسبه.[2]

ورغم أن نسب الأمير الشريف إلا أنه كان يرفض رفضا قاطعا استغلال نسبه وأصله لإكتساب الاحترام والتقديس وطاعة الناس، فقد كان يقول "...لا تسألوا أبدا ما هو أصل الإنسان وفصله بل اسألوا عن حياته وشجاعته وعندئذ تدركون من يكون".[3]

وبالفعل تجسدت هذه الخصال والصفات في شخصية الأمير عبد القادر وهذا راجع إلى أصله الشريف وسلالته العريقة وقد أطلق عليه الكثير من الألقاب الشريفة في الكثير من المناسبات التي تليق بمقام سلطانه منها: أمير المؤمنين، ناصر الدين، ابن الراشدي، ابن خلاد ...الخ.

ثانيا: مولد الأمير عبد القادر ووسطه التعليمي

1. مولد الأمير عبد القادر:

لقد تطرقت أغلب المصادر التاريخية العربية منها أو الأجنبية إلى مولد الأمير عبد القادر وحددت ذلك فقط ولد الأمير عبد القادر[4] في 23 رجب 1223هـ، في شهر ماي 1807م، [5]

---

[1] الصلابي (محمد علي)، المرجع السابق، ص351.

[2] اخوان (مريم الشاوش)، الطريقة التيجانية وموقفها من مقاومة الأمير عبد القادر، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إش: بوغدادة (الأمير)، جامعة محمد خيضر_بسكرة، 2014-2015، ص ص 56_67.

[3] تميم(آسيا)، الشخصيات الجزائرية 100شخصية، د ط، دار المسك للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص ص 9-16.

[4] لونيسي (رابح) وآخرون، رجال لهم تاريخ نساء لهن تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص34.

[5] محمد بن (عبد القادر الجزائري)، المرجع السابق، ص4.

في منطقة معسكر الواقعة على مشارف نهر الحمام[1] ببلدة القيطنة[2] في منطقة غريس وهو الإبن الرابع لمحي الدين.[3]

ويصف برونو إيتين في كتابه الأمير عبد القادر ولادته بحيث يقول: ".. كانت القابلة والعجوز قد أعدت سبع قطع قماش ووضعتها على ركبتيها وأضجعت عليها الصبي، وعملت على غسله وفق الطقوس المتبعة ومسحه بالزيت والحنة ثم قمطته وقد عم الهرج والمرج وزغردة النساء".[4]

2. نشأة الأمير عبد القادر ووسطه التعليمي:

تجمع أغلب الدراسات التاريخية أن الأمير عبد القادر قد نشأ نشأة دينية وتلقى منذ ولادته تربية خاصة وعاش طفولته الأولى في وسط من العمل والشجاعة الفائقة كما كان موضع إهتمام أبيه وعنايته الدائمة فإلتفت إليه التفاتة خاصة وأحاطه بمراقبة شديدة من طرفه وهذا ما أكده هنري تشرشل بقوله: "... أن عبد القادر نشأ منذ طفولته في حضن أبيه وكان

[1] وادي الحمام: يصفه الأمير عبد القادر في مذكراته بأنه أكبر الأودية وأعذبها ماءا طيبا وحلاوة ذا مروج وينسب الوادي إلى ولي اسمه محمد بن الحنفية. ينظر: محمد (بن عبد القادر الجزائري)، مذكرات الأمير عبد القادر...، المرجع السابق، ص48.

[2] القيطنة: وهي قرية صغيرة على ضفة وادي الحمام، اشتهرت بإنتشار العديد من الزوايا منها زاوية القيطنة التي أسست من طرف الشيخ بن المصطفى بن المختار الغريسي جد الأمير عبد القادر سنة 1792م، وقد عرفت هذه الزاوية إشعاعا دينيا كبيرا من أبرز شيوخها الشيخ المشرفي والشيخ مصطفى بن المختار اختصت في تدريس العديد من المجالات منها الفقه المالكي، علم التوحيد، علوم اللغة...الخ. ينظر: طاعة (سعد)، الدور العلمي لمدارس ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 10، ديسمبر 2019، ص ص29_45

[3] رقاد(سعدية)، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني (1700_1830)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة احمد بن بلة _وهران، 2018_2019، ص315 .

[4] برونو (إتين)، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، ط2، دار عقبة للطباعة والنشر، الجزائر، 2001، ص ص

يخصص له اهتماما غير عادي للطفل فاعتنى به ورباه تربية إسلامية من جميع النواحي المعنوية جعلته يتناسى عن المكاسب المادية.[1]

ولما بلغ الأمير من عمره الرابعة سنة 1812م التحق بمدرسة والده بالقيطنة تعلم مبادئ الكتابة والقراءة وحينما أتم العاشرة 1818م، تمكن من فهم القران وأصول الشريعة على يد أحمد بن الطاهر قاضي أرزيو الذي علمه الرياضيات، الجغرافيا، التاريخ ...الخ.[2]

ولو تتبعنا بالتدقيق أكثر في حياة الأمير عبد القادر التعليمية فنجد انه عندما أتم الثانية عشر من عمره سنة 1820م، ارسله والده إلى مدرسة وهران بإشراف احمد بن الخوجة ليتعلم مبادئ اللغة ويدرس اراء المسعودي وابن خلدون ويطلع على العلوم المستحدثة ويتعمق في الدين، ومكث في عاصمة المقاطعة حتى نال شهادة محافظ.[3]

ولما بلغ السابعة عشر إشتهر عبد القادر بين زملائه بقوته العجيبة ونشاطه الواضح وفي هذه المرحلة بدأ يعطي دروسا في الجامع الأسرة حيث كان يفسر أصعب آليات والشواهد...الخ[4].

وبعد مدة وجيزة على وجوده في القيطنة تزوج عبد القادر وهو يافع على الطريقة الإسلامية طبقا لنصوص القرآن الكريم والسنة في سن الخامسة عشر إبنة عمه لالة خيرة التي اتصفت بالرزانة والجمال.[5]

---

[1] موسم (عبد الحفيظ)، الأمير عبد القادر ضمن الشخصيات الفرنسية خلال مرحلة أسره بفرنسا، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 01، جانفي 2022، ص ص129_139.

[2] زغدان (زهية)، الحاج قدور(مريم)، الأمير عبد القادر من خلال الكتابات الأجنبية (1807-1883)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إش: القاصري (محمد)، جامعة محمد بوضياف_المسيلة، 2016_2017، ص ص10_12.

[3] فركوس(صالح)، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للاحتلال الفرنسي والمقاومة المسلحة، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2012، ص17.

[4] حرب (أديب)، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808_1847)، د ط، الجزء الأول، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص71.

[5] زغدان (زهية)، الحاج قدور (مريم)، المرجع السابق، ص13.

ولو رجعنا إلى البيئة التي عاش فيها الأمير عبد القادر فقد ساعدته كثيرا السمة الصوفية وساهمت من جهة أخرى في صقل شخصيته ومواهبه من خلال التشرب بتعاليم الدين الإسلامي النقية ومن منابعها الصافية.[1]

ولم يكتفي الأمير عبد القادر بتلقي العلوم الدينية والدنيوية بل اهتم بالفروسية وركوب الخيل وتعلم فنون القتال على غيره من الشباب وكان من بين القلائل الذين جمعوا بين العلوم الدينية والفروسية عكس ما كان عليه الوقت آنذاك.[2]

هذا البطل الأديب الشاعر أتيح له ليرتفع إلى مناهل الثقافة ونال درجات علمية منها درجة طالب علم بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال وتلقينهم دروس التفسير في الزاوية وفي 1821م، سافر إلى أرزيو بعد ذلك إلى مدرسة الأعيان وعدة رحلات داخل وخارج الوطن أهمها رحلته إلى القرويين وجامع الزيتونة إضافة إلى رحلته إلى الحج مع والده محي الدين.[3]

فلو لاحظنا جيدا أن هذه المرحلة من حياة الأمير عبد القادر أنه قضاها في تحصيل العلوم الدينية واللغوية وقد بلغ مستوى عاليا من المعارف الأدبية والشعرية.[4]

ثالثا: أهم رحلاته وإنتاجه الأدبي

1: رحلاته

[1] نزروق(حليمة)، صورة الأمير عبد القادرعند هنري تشرشل من خلال كتاب الأمير عبد القادر، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إش: فريحي (مليكة)، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016_2017، ص14.

[2] بن موسى (محمد)، التنظيم العسكري لجيش الأمير عبد القادر (1832-1847)، مجلة عصور، ع:2 ، جويلية 2021م، ص ص 110-127.

[3] بوشتة (خولة)، مؤسسات وهياكل دولة الأمير عبد القادر، مذكرة لنيل شهادة الماستر، إش: جلايلي (أحمد)، جامعة أدرار- دراية، ص ص8-19

[4] ولد حسين (محمد الشريف)، تاريخ الجزائر من المقاومة والحرب من أجل الاستقلال، د ط، دار القصبة، الجزائر، د س، ص ص14.

بدأ الأمير عبد القادر رحلاته منذ بداية 1241للهجرة _1825م قاصدا مكة المكرمة فقد تحرك الأب مع إبنه إلى الحج عن طريق البر والبحر وكانت بدايتها من وهران مرورا بوادي الشلف وبرج حمزة فمدينة قسنطينة ثم محطة الكاف ومنها إلى مدينة تونس وتوقفا بمصر وشاهدا ما كانت تعرفه مصر، واصفا إياها في مذكراته بمصر البحرية لأنها تأتي من جهة الروم وزارا فيها أماكن الصالحين وأضرحتهم كنبي الله دنيال وكولي الله أبي العباس المرسي والعارف بالله تلميذه تاج الدين بن عطا الله وأبي الحسن البصيري صاحب الأمداح النبوية وغيرها من الأماكن التي تجولوا فيها.[1]

فركبوا البحر الأحمر نحو جدة وعند وصولهم إلى مكة المكرمة شكرا الله تعالى على ذلك وهذا ما أكده الدكتور عبد الله قسيمة في كتابة ثائر من الجزائر في حوار دار بين الأمير عبد القادر وإبنه الحاج محي الدين قائلا في كلامه "...الحمد لله حمد الشاكرين ولله الشكر شكر الحامدين، أحمدك يا رب الذي أعنتنا على أداء فريضة الحج هذا العام ورد الإبن قائلا فعلا يا أبي أدامها الله نعمة ورزقنا العافية دوما، حجا مبرورا وسعيا مشكورا....."[2]

وبعد أداء فريضة الحج زاروا المدينة وصلوا فيها على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم كما ترحموا على الصحابة التابعين المدفونين بالبقيع ومن المدينة إلى دمشق بصحبة الركب الشامي بحيث مكثوا فيها عدة أشهر وتعرفوا على الصلحاء والعلماء، بل كانوا يقضون جل أوقاتهم دائبين على القراءات وحضور حلقات الدرس التي كانت على يد كبار العلماء منهم الإمام المحدث عبد الرحمان بن محمد الكزبري الشافعي الدمشقي وغيره من المحدثين الذين واكب عليهم وبرجوعهم إلى الجزائر زاروا العديد من المعالم بدءا بمدينة بغداد التي إستقر

[1] الصلابي (محمد علي)، المرجع السابق، ص354.

[2] قسيمة (عبد الله)، ثائر من الجزائر (رواية)، دار النفائس للطباعة والنشر، لبنان بيروت، 2015، ط: 1، ص16.

المقام لهم كما زاروا مقام عبد القادر الجيلالي[1] وبعد أيام إنصرفوا نحو القاهرة مع الركب الحجازي الذي قدم من المغرب العربي للحج في رحلة صيفية حارة مباشرة.[2]

وعليه فإن هذه الرحلات التي قام بها الأمير عبد القادر كانت بمثابة منبع ثقافته كما ساهمت هذه الفرص للأمير من الاطلاع على أنظمة الحكم في الأقطار العربية والمشرقية في مختلف الميادين كما زادته شغفا بالعلم[3] فإعتزل لتحصيله وكان لا يفارق الكتب إلا إذا خرج للصلاة أو لتناول الطعام بحيث قرأ في تلك الفترة كل ما وصلت إليه يده من كتب الفقه والحديث، الفلسفة، الفلك، الجغرافيا، وإستطاع أن يؤسس مكتبة من أغنى المكتبات في تلك الفترة.[4]

2. إنتاجه العلمي:

رحل الأمير عبد القادر مخلفا وراءه تراثا أدبيا تنوع قيما بين الكتابة النثرية والشعرية جاءت في مجموعة من المؤلفات العظيمة نذكر منها:

أ. النثرية:

من أهم وأشهر المؤلفات النثرية التي ألفها الأمير عبد القادر:

كتاب وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب :

وهو عبارة عن تنظيمات وقوانين عسكرية وليس تأليفا بالمعنى الدقيق وتثبت أغلب الكتابات التاريخية أن صاحب الكتاب هو قدور بن رويلة فهو الذي دون وصاغ زمان هذه

---

[1] الصلابي (محمد علي)، المرجع السابق، ص357.

[2] عبد القادر الجيلالي :هو أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلي الحنبلي، شيخ بغداد الزاهد وقدوة العارضين ولد بجيلان سنة 470للهجرة 1077م نشأ في أسرة اتصفت بالصلاح ومؤسس الطريقة القادرية .ينظر :بن رية (مليكة)، الشيخ بن عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة ومنهجه في إصلاح التصوف، مجلة دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، جانفي 2021، ص ص 762_773.

[3] محمد بن موسى، المرجع السابق، ص ص 110_128.

[4] شربال (لمياء)، نقود الأمير عبد القادر(1836_1841)، دراسة تاريخية فنية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الجديث والمعاصر، إش: حاجيات (عبد الحميد)، جامعة أبي بكر_بلقايد تلمسان، 2014_2015، ص ص28_29.

الرسالة بالضبط في 15 جمادى الأولى سنة 1255 للهجرة _27جويلية 1839م وترجمت – (هذه الرسالة)، في شوال 1259م لأول مرة على يد الترجمان روسيتي (ROSETTY)، وضبط من ديسمبر 1843 وطبعت بإعتناء الجنرال ماري (Marrey)[1]

من بين المؤلفات المشهورة للأمير عبد القادر أيضا مذكراته وهي عبارة عن عمل يلتقي فيه التحرير والإملاء الشخصي والإنشاء الجماعي الذي تم إنجازه تحت اشراف الفقيه السيد مصطفى بن التهامي صهر الأمير عبد القادر وخليفته وصديقه المقرب والمحبب إليه فهو شهادة صادقة لها قيمتها التاريخية لأنها مكتوبة بأيدي شهود عيان الأحداث وصنعوها بأيديهم وأعطوا تفسيرها من داخل الواقع الذي التحم بأنفسهم أيما التحام.[2]

أيضا من بين المؤلفات[3] المهمة التي ألفها الأمير عبد القادر كتاب المواقف الذي ألفه خلال مقامه بدمشق وهو من أهم الكتب وثمرة نشاطه التعليمي وهو عبارة عن أحاديث دينية تنحصر في شرح آية قرآنية أو حديث نبوي في مختلف المسائل الدينية من إعتقادية وفقهية وأخلاقية وغير ذلك بحيث يخصص لكل مسألة موقف من المواقف بإختلاف المسائل المطروحة وهو يتألف من 372 موقفا.[4]

[1] فرعون(حمو)، فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر (دراسة أنثروبولوجية)، سعيد (محمد)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تلمسان أبي بكر بلقايد– تلمسان، 2009–2010، ص ص 40_44.

[2] السبع (عبد الرزاق)، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، د ط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، 2002، ص195.

[3] من بين الكتب المشهورة للأمير عبد القادر كتاب ذكر العاقل وتنبيه الغافل الذي ألفه في بروسة (تركيا) أثناء إقامته بها، وسميت أيضا (رسالة إلى الفرنسيين) وهوكتاب موجه لأعضاء المجمع الأسيوي، كان تاريخ تأليفه في 1855م، ثم ترجمها قوستاف ديقا إلى لغته. ينظر: مقدم (رشيد) الروحي والثقافي في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة مشكلات الحضارة، العدد الأول، 2019م، ص ص 1–16.

[4] السبع (عبد الرزاق)، المرجع نفسه، ص213

ب: الشعري

من أهم ما اشتهر به الأمير عبد القادر في إنتاجه الشعري هو ديوانه الشعري الذي هو عبارة عن مجموعة من القصائد الشعرية المختلفة الأغراض وقد جمع في نسخ كثيرة وحقق مرات عدة عدد صفحاته 132صفحة تناول فيه التعريف بشخصيته وحياته النضالية والعلمية وقيمة مؤلفاته المتعددة المعارف والمشارب (السياسية الدينية الصوفية والأدبية)، وآثارها في الساحة الأدبية العربية .

وقد تعددت أغراضه من غرض لآخر فإن المتصفح لديوان الأمير عبد القادر سيجده حافلا بالأغراض الشعرية منها الفخر، الغزل، والمساجلات، التصوف ....الخ.[1]

ولو ركزنا على شعر الأمير عبد القادر عامة فنجده انه ارتكز على نقطتين أساسيتين هما الفروسية وثقافته الإسلامية، ولعلها عوامل جعلت لشعر عبد القادر مذاقا عاما واحدا كالشعر الصوفي أو العذري أو الرومانسي فهو يتغزل ويفتخر ويمدح ويصف فتوحاته الميدانية أو تلك التي يسميها العرفانية أو عن آماله المنشودة. ويكتسي شعر[2] الأمير عبد القادر أهمية كبيرة ويتميز بالكثير من الخصائص من حيث البنية في معظم أبيات الشعر الصوفي من البحر الطويل والوافر والكامل ومن جهة أخرى يظهر فيه تأثر الأمير عبد القادر ببعض شعراء العرب إلى حد إقحام أبياتهم أما من حيث المضمون فيعتبر شعر الأمير عبد القادر مادة علمية تاريخية من منطلق انه أرخ للعديد من الحوادث التي تخللت فترة المقاومة وحوى مادة علمية وصفية رسمت صورة عن جنده ومدنه وحصونه.[3]

---

[1] كوشتان(محمد)، فوضيل(محمد)، قيمة ومكانة مؤلفات الأمير عبد القادر الجزائري (1807–1883م) ديوانه الشعري أنموذجا، مجلة دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد الأول، جانفي 2022، صص231_245.

[2] من أهم المواضيع التي نلتمسها في شعر الأمير عبد القادر، روح الثورة والنظام في نفوس جنده ومدحه إلى جانب رسائله المتبادلة بينه وبين خير الدين باشا التونسي وغيرها من المواضيع الأخرى. ينظر: نقاز (هجيرة)، الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية ورمز المقاومة الشعبية أديبا وشاعرا، مجلة روافد، عدد خاص، ص ص 631–644.

[3] السبع (عبد الرزاق)، المرجع السابق، ص ص 291–327

رابعا : المواصفات الشخصية .

1:الجسدية:

لقد تعددت خصال الأمير الشخصية حسبما أغلب الكتابات العربية والأجنبية والتي انقسمت إلى صفات خلقية ورثها عن أجداده القدامى، وأخرى جسمية إكتسبها بمرور الوقت ومن أهمها:

الجسدية فقد عدد الدكتور بسام العسلي في كتابه الأمير عبد القادر أهم الصفات الجسمية له فقد ذكر انه خلق جذابا ووسيما يكاد جماله يقترب إلى الجمال الأنثوي من الجمال الرجولي له انف متوسط يبرز من جبهته بشكل رائع لا هو بالأنف الإغريقي ولا هو الروماني وإنما وسط بينهما وتحته شفتان منحوتتان بدقة ومضغوطتان تنمان عن التحفظ المهيب والثقة بالهدف، بينما تشع عيناه الصافيتان العسليتان تحت جبهة عريقة في بياض الرخام مع نعومة مكتومة وحزينة.[1]

أما عن طوله فقد كان معتدل الطول متوسط الإرتفاع قوي البنية، يعلوه رأس ضخم ويتوجه شعر كثيف مختضب بالسواد يبرز من عينيه الشهلاوين له ابتسامة تطمع بالحنان ووراءه حزم حازم يشع من عينيه نفاذتين كالكهرباء ويمشي مستقيما ويقعد كالمستوفز وينهض بعزم وإذ ركب وثب إلى ظهر الجواد وبقي إلى آخر أيامه يحب الخيل ويداعبها.[2]

2:الخلقية:

أ:الفروسية:

يرى هنري تشرشل أنه من أهم الجوانب الملفتة في حياة الأمير عبد القادر هو فروسيته وما يتصل بها واندفاع، فقد ولع الأمير عبد القادر منذ شبابه بركوب الخيل ومارس منذ صغره الصيد بل كان يقضي ساعات طوال من يومه على فرسه الذي كان أعز شيء عنده

[1] العسلي (بسام)، الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، بيروت، 1986، ط:1 ، ص ص 17_18.

[2] محمد (عبد القادر الجزائري)، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري (1807_1883م)، شرح وتح : (حقي) ممدوح ، دار اليقظة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 5.

ولم يشغله عن ممارسة هوايته سوى قراءة الكتب والإنزواء للعبادة والذكر[1] وهذا ما جعل موريس فاغنر الألماني يصفه كأنه كان فارسا متمرسا ولا تكاد السبحة تبتعد عن أصابعه.[2]

ب. العدل:

من أهم الخصال[3] التي ميزت الأمير عن غيره من الشخصيات المعروفة عدله فقط بلغ شاءنا في كبيرا في العدل وذلك من فضل الله تعإلى أولا وبحسن تربية وتوجيه من الوالدين الأكرمين وفي هذا الصدد تذكر الباحثة حفيدة الأمير عبد القادر الجزائري الأميرة بديعة الحسني إن المؤرخين الذين اجمعوا على أن حكومة الأمير تكونت من ذوي الخبرات الذين اشتهروا بالعدل والفضل والعلم والتقوى.[4]

الصبر:

كان الأمير عبد القادر صبره كبيرا ومن أهم الأمثلة التي توضح ذلك هو انه جاهد طيلة سبعة عشر سنة ضد أكبر قوة غازية كما أن صبره على السجن والمنفى في فرنسا سنوات ما زادته إيمانا بقدر الله تعإلى على هذا الإبتلاء إضافة إلى صبره خلال مرضه ووفاته رحمة

[1] يصف هنري تشرشل العديد من المزايا في شخصية الأمير عبد القادر منها: شخصيته الخجولة والخوف والكبرياء والرجولة ونبوغه العقل إلى جانب واجباته الدينية مثل الصلاة. ينظر:

COLONEL CHURCHILLE, LIFE OF ABDEL KADER, EX-SULTAN OF THE ARABS OF ALGERIA, CHAPMAN AND HALL, 193, PICCADILLY. LONDON, 1807, p 02.

[2] زغدان (زهية)، حاج قدور (مريم)، المرجع السابق، ص ص15-16.

[3] من أهم الكتابات التاريخية التي تحدثت عن الأمير عبد القادر محمد شريف الساحلي في كتابه الأمير فارس الإيمان، بحيث ركز فيه على أهم الجوانب الشخصية للأمير وأهم خصاله وإنسانيته. ينظر: بن دحمان (الحاج)، الأمير عبد القادر فارس الإيمان قراءة في كتاب محمد الشريف الساحلي، مجلة دراسات وأبحاث، العدد الأول، جانفي 2022م، ص ص 79-91.

[4] قوراري (سليمان)، شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات، مجلة الحقيقة، العدد 31، ص ص 49_80.

الله تعإلى ، فقد كان يقول "إن الموت لابد منه عند نهاية الأجل والحمد لله الذي أراني واسمعني ما يقال في جانبي من الخير بعدي.[1]

الدهاء:

لقد تميز الأمير عبد القادر إلى جانب صفاته الأخرى بالدهاء فقد كان ذو قيمة وصلاح في دنياه مشتهرا بالصدق والأمانة في وطنه شديد التمسك بمبادئه إلى جانب خبرته العسكرية بفضل دهائه السياسي أوقع العدو في مأزق وعرضه للمخاطر والمهالك والوقوف ضده طوال 17سنة، وتدل الشهادات لشخصيات عالمية حول هذه الميزة فيقول الكونيل الإنجليزي إسكوت "إن أعظم الشخصيات في العالم الإسلامي في العصر الحاضر هما شخصية محمد علي والأمير عبد القادر".**خامسا: التكوين الصوفي للأمير عبد القادر وأثره في نشأته**

1. جذور التصوف في شجرة الأمير عبد القادر :

قبل التحدث عن ظاهرة التصوف والخوض في غمارها في تاريخ الجزائر وبالخصوص في الغرب الجزائري المتوارثة من جيل إلى جيل، فقد شكل القرن التاسع عشر منعطفا مهما للحركة الصوفية بالجزائر إذ شهد الفكر الصوفي إنتعاشا معرفيا لابأس به من خلال إقبال العديد من العلماء والفقهاء والمتصوفة على الكتابة في التصوف تنظيرا وممارسة نبغ فيها العديد من العلماء والشيوخ على رأسهم عبد القادر الجيلالي مؤسس الطريقة القادرية وجد الأمير عبد القادر.[2]

[1] فركوس صالح، المرجع السبق، ص ص 24-25.

[2] بوسلاح (فايزة)، كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر متصوفة الجزائر ابن عربي، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الثاني، ماي 2021، ص ص 273- 283.

ويعتبر عبد القادر الجيلالي من رجال التاريخ الإسلامي الذين سلكوا طريق التصوف وحملوا لواء الدعوة بحيث يعتبر المؤسس الأول للطريقة القادرية التي قامت على مبادئ الصبر والرضا من إدران النفس والهوى والصدق وحسن الخلق.[1]

هذه الطريقة القادرية التي ينتمي إليها الأمير عبد القادر والتي ذاع صيتها قبل التاريخ العثماني للجزائر من جذورها من شجرة الأمير عبد القادر يضرب في أعماق التاريخ فأول من أسس لها زاوية هو المصطفى بن المختار جد الأمير عبد القادر حوالي 1200هجري، بوادي الحمام قرب معسكر وبذلك عمت وأصبحت أكبر طريقة من حيث الإنتشار في الغرب الجزائري وثاني طريقة من حيث الإتباع والمؤيدين، وربما إستحق الأمير عبد القادر كل هذه المنزلة عند علماء السلف لأنه أقام تصوفه في رباط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف لا وهو القائل "يا زهاد الأرض تقدموا خربوا صوامعكم وإقتربوا مني قد قعدتم في خلوتكم من غير أصل ماوقعتم بشيء تقدموا".[2]

2. الأمير عبد القادر وتجربة التصوف :

عند تعريف الأمير عبد القادر لمفهوم التصوف[3] فيرى صدق التوجه إلى الله بما يرضاه وهذا من أجل التقرب إليه والخضوع له بنية صافية وخالصة وبأعمال ترضيه دون الخضوع لشيء آخر غير سبيل الله وإعتبر أيضا أن التصوف هو جهاد النفس في سبيل الله من أجل

[1] بن رية (مليكة)، الشيخ عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية ومنهجه في إصلاح التصوف، مجلة دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 13، 2021، ص ص762_773.

[2] بوكسيبة (محمود)، التصوف والدولة في فكر الأمير عبد القادر أو الإتلاف بين الطريقتين القادرية والرحمانية، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، ع:2 ، 2014، ص ص 32 – 42.

[3] التصوف: يعتبر التصوف ظاهرة إجتماعية دينية تنتشر في المجتمع وتهدف إلى هداية الفرد وترشيد المجتمع قصد الإستقامة وغايات أخرى. خالدي (ربحة)، التصوف في الجزائر أسسه وطرائقه، مجلة إمارات، العدد الأول، مارس 2018م، ص ص 108-115.

وضع النفس تحت أوامر الله والخضوع له ولأحكامه وهذا ما إلتزم به الأمير عبد القادر في أغلب مواقفه العظيمة.[1]

لعل من بين العوامل والدوافع المساعدة التي جعلت الأمير عبد القادر ينتهج سلوك طريق التصوف رغم صعوبته ومنهله ومشربه هو البيئة التي عاش فيها إنطلاقا من أسرته المحافظة التي إشتهرت بالورع والصلاح والزهد والتقوى إلى جانب تنشئته تنشئة دينية صوفية ورثها أبا عن جد، أيضا من بين الأسباب التي دفعت الأمير إلى إتباع طريق التصوف نزعته الإنسانية وهي صلة الوصل بينه وبين أخيه الإنسان شرقيا أكان أو غربيا أو مسلما أو مسيحيا كما تعتبر هذه النزعة سببا مباشرا لتصوف الأمير وإحدى العوامل المساعدة في تغذية وتنمية الإتجاه الروحي .[2]

ولعل من أبرز المراحل التاريخية التي مر بها الأمير عبد القادر مع تجربته الصوفية ابتدءا من المرحلة الأولى التي هي مرحلة التعلم التلقن والتعلم والمطالعة (1807-1883م)، بحيث تمتد هذه المرحلة من ولادة الأمير في القيطنة إلى تاريخ نزول الفرنسيين وإلى أرض الجزائر 1830م وهي فترة الرحلة المشرقية التي سافر فيها الأمير عبد القادر مع والده لأداء فريضة الحج والتي أتاحت له فرصة الإطلاع على الكتب والطرق الصوفية منها القادرية.[3]

[1] معاش(شريفة)، بريحة (نعيمة)، مكانة التصوف في فكر الأمير عبد القادر، أحمد ذكار، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، قسم التاريخ، 2018- 2019، ص ص 16-21.

[2] بوسلاح (فايزة)، كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر متصوفة الجزائر وابن عربي أنموذجا، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الثاني، ماي 2021، صص283-273.

[3] بوعيشة (نصيرة)، نوادري (سناء)، الفكر السياسي والديني عند الأمير عبد القادر، إش: معيلبي (عيسى)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، جامعة محمد بوضياف - مسيلة، 2017_2018، ص ص 77- 79.

أما المرحلة الثانية من مراحل تصوف الأمير عبد القادر والتي إصطبغت بالفتوة الفروسية والمرابطة[1]، أما المرحلة الثالثة من تصوفه فمنذ كان أسيرا في فرنسا بحيث أتاح له الأسر فرصة كبيرة للخلو والعبادة والتأمل الصوفي، أما المرحلة الأخيرة وهي أخصب المراحل في تصوفه لاسيما وأنه قد تعمق في العلوم واظهر من دقائق الحقائق وعوارف المعارف، إذ كان يصوم شهر رمضان على الكعك والزبيب معتزلا القريب والبعيد.[2]

3. الأبعاد الإنسانية للتصوف في فكر الأمير عبد القادر :

من أهم الأبعاد الإنسانية التي رمى إليها الفكر الصوفي للأمير عبد القادر هي الأنسنة القائمة على النزعة الإنسانية وإحترام الإنسان الكوني بعيدا عن هيمنة المعتقد أو العادات والتقاليد والإنتماء والهوية والتي بموجبها يدعو إلى التسامح وهذا ما تجسد في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، حيث أكد إدريس الجزائري الممثل الدائم لدى الأمم المتحدة سابقا إن الأمير كان منشد الفهم لحقيقة الإسلام وذلك أن فكر وإعمال الأمير يشكلان دواء للحد من تصاعد اللاتسامح والتأكيد على مبدأ الإنسانية التي هي من صميم مبادئه.[3]

ومن أهم المبادئ الإنسانية للفكر الصوفي للأمير عبد القادر الدعوة إلى الإنفتاح على الأديان وحوارها فقد كان رجل سلام يده كانت ممدودة لمسامحة الخصوم كما كان سباقا للدعوة إلى التحلي بالقيم الإنسانية في زمن الحرب.[4]

---

[1] تصفه الكتابات الدانماركية بالمرابط ذا صلة دينية نابعة من الإسلام، كما أثارت إعجاب شخصية مالكس الذي وصفه بالعظيم وأحد أبناء أمته. ينظر:

A. V. DINESEN, Dannebrog i. Urtilleriet, ribber af Dannebrog og af Wreslegion, UNIVERSITY BOOKSELLER C. A. Reitzel Bianco lunos bogtrnlleri , 1840, p p 22-24.

[2] بركات (محمد مراد)، الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي، د ط، د ت، دار النشر الإلكتروني، كلية التربية – جامعة عين الشمس، ص ص 56_60.

[3] حمادي (الهواري)، أبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية، العددان 5و6، جوان _2014_2015، ص ص 103_118.

[4] حمادي (الهواري)، المرجع نفسه، ص ص 103_118.

إضافة إلى أنه كان يهدف إلى إرساء لمواثيق مؤسسته للمدنية والحضارة فقد أسس عبد القادر لدولة جزائرية حديثة وكان مثالا يحتذى به في تكريس ثقافة السلم والمصالحة كما انه كان دائم الالتزام بالمواثيق والمعاهدات كمعاهدة ديمشال ولم يبادر قط إلى خرق الهدنة أو الإعتداء على الأسرى.[1]

أيضا من أهم الأبعاد الإنسانية للتصوف في فكر الأمير ضرورة التسلح بالأخلاق والعلم والمحبة وبالفعل تجذرت المحبة لدى الأمير عبد القادر واتضح هذا في معاركه ومعاملاته الإنسانية.[2]

وفي نهاية الفصل نستخلص مجموعة من النتائج التي من بينها أن إنسانية الأمير عبد القادر قامت على مجموعة من الأسس المرجعية، فمن أصله ونسبه الشريف ومن البيئة التي ولد ونشا وتربى فيها برزت صفة الإنسانية ومن تجاره العلمية والعملية نبعت ومن تكوينه الصوفي تجسدت أبعادها في ترسيخ قيم التسامح في المجتمع الجزائري.

[1] بغدادي (خديجة)، العلاوي (احمد)، الأبعاد الحضارية للتصوف عند الأمير عبد القادر، مجلة الدراسات الإنسانية والإجتماعية، ع:2 ، 16فيفري 2020، ص ص 1_18.

[2] بركات (عمار)، "دور التجربة الصوفية في تأسيس الأبعاد الإنسانية الأمير عبد القادر والمهاتما غاندي أنموذجين"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد الثاني، ديسمبر 2019، ص ص 446_472.

الفصل الثاني: الأبعاد الإنسانية وقيم التسامح في دولة الأمير عبد القادر (1832_1847م)

أولا: معاملاته الإنسانية مع جنده

ثانيا: الأمير عبد القادر وتسامحه مع الأسرى

ثالثا: صور التسامح في رسائل الأمير عبد القادر ومعاهداته

رابعا: تسامحه مع القبائل

إن أهم ما ميز في شخصية الأمير عبد القادر إنسانيته النابعة من أصوله الشريفة، ومن البيئة الإسلامية التي نشأ فيها والأخلاق التي تربى عليها واهم التجارب العلمية والعملية التي تعلمها، عليها كل هذه العوامل أهلته ليكون نموذجا حيا للرجل الإنساني الذي أسس دولته على قيم التسامح وفعلا تجسدت هذه المظاهر من خلال مواقفه التي بينتها اغلب الكتابات التاريخية، وهذا ما يستوجب طرح العديد من الإستفسارات التاريخية، فما هي منطلقات التسامح عند الأمير عبد القادر؟ وما مظاهر تجلياته في حيات

أولا: معاملاته الإنسانية مع جنده

مما لاشك فيه أن الدراسات التاريخية التي كتبت عن سيرة الأمير عبد القادر وعن إنسانيته التي إستمدها من التراث العربي الإسلامي، فالأمير عبد القادر حارب جيوش الإحتلال الفرنسي وخلال مقاومته حرص على ترسيخ مبادئ التسامح مجسدا بذلك إنسانيته في الكثير من معاملاته في دولته الفتية خصوصا مع جيشه أو أسراه[1] وهذا ما سنعرفه في التفاصيل اللاحقة من الفصل.

فقد كان الأمير عبد القادر من أشد الناس تمسكا بالدين والعمل وفقا لمبادئه الحسنة والفضل في ذلك يعود إلى نشأته في الوسط الديني، بين أحضان عائلة متدينة لها سطوتها الروحية على قبائل الجهة وعروشها ولاشك أن شدة التأثر بمبادئ الدين والتكوين الأسري المحافظ الذي كيفه تكييفا قوميا فالأمير ممن أودع فيهم صفة الإنسانية لخدمة شعبه، وتتضح تجليات التسامح وإنسانيته في دولة الأمير عبد القادر من خلال العديد من المظاهر وبالضبط مع جيشه والتي قسمناها إلى قسمين أوله الجانب المعنوي الروحي الذي جعله ركيزة أساسية لقوة جيشه ومادية برهنت على اهتمامه لجيشه.[2]

[1] بن جبور(محمد)، البعد الإنساني للمقاومة في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، ع:02، ماي 2021، ص ص89_110.

[2] الميلق، (عبد القادر)، سلوكيات وأخلاقيات الأمير عبد القادر الجزائري في الحرب من الفرنسيين أنموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع:01، 2019، ص ص 149_152.

1. المعنوية:

كان الأمير عبد القادر يولي إهتماما كبيرا بجنوده فقد إعتمد على سياسية مجاهدة النفس مع جنده وعلى البساطة والتواضع مع ترويضهم على السهر كي لا يطغى عليهم الكسل شحذا للهمم من خلال الشعارات الدينية المشجعة، والمكافآت المتمثلة في الرتب العسكرية كما كان حريصا على سلامة صحتهم لدرجة انه كان في الكثير من الأحيان كان يخاطر بحياته من أجل إنقاذ الجرحى وغيرها من الأمثلة التي زرعت في نفوسهم ثقة الأمير عبد القادر، وحبهم له فقد كان الأمير عبد القادر يمجد الروح البشرية ويقول في هذا الصدد في أحد أبياته:

ما نبالي إذ أرواحنا سلمت بما فقدناه من مال ومن نشب

فالمال مكتسب والجاه مرتجع وإن النفوس سلمت من العطب.[1]

كما كان كل مرة يذكر جيشه بالأخلاقيات التي ينبغي أن تلازم المحارب ومن منطلق أن الحرب حل أخير وممارستها لا يجب بأي حال من الأحوال أن تنفصل عن الفعل الأخلاقي في غاياته النبيلة هذا ما دفعه إلى إيجاد تصميم عن الفعل الأخلاقي، هذا ما دفعه إلى إيجاد تصميم رسالته المعنونة بوشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب لقدور بن رويلة الذي وشرح فيه علاقة الأمير بجنده ومدى إهتمامه بهم وإنسانيته إتجاههم.[2]

2. المادية:

وكما ذكرنا سابقا كان حرص الأمير عبد القادر شديدا على سلامة جنده معنويا، كما إهتم بهم من جهة أخرى ماديا وجسد ذلك في بنائه للمستوصفات في المقاطعات والمشافي التي تنتقل مع الجنود في المعارك من أجل إسعافهم وعين لكل مشفى أربعة أطباء ذوي

[1] بن ساعد (عائشة)، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، ناصر الدين (سعيدوني)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003_2004، ص ص 276_279.

[2] بشير (خليفي)،)، شواهد تاريخية على عالمية الأمير عبد القادر، منشور في كتاب الأمير عبد القادر عبقرية الزمان والمكان، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية، وذان بوغفالة، معسكر، مكتبة الرشاد للطبع والنشر، ص ص 137- 153.

الخبرة والكفاءة يرأسهم طبيب متمرس في الميدان وكان هؤلاء الأطباء يتقاضون راتبا ثابتا يدفع لهم من بيت المال.[1]

ومن مهامهم الطبية تجبير العظام وتضميد الجروح فقد صمم الأمير عبد القادر على تأسيس مدرسة للطب واعتمد في ذلك مجموعة من الأطباء من خارج الوطن كالأطباء التونسيين كما أنفق أموالا كبيرة لشراء الكتب العلمية الطبية لنقل العلوم الطبية في المعاهد للطلبة المتفوقين بالإعتماد على هؤلاء الأطباء ذوي الكفاءة العالية لكن عمر إمارته القصيرة حال دون تحقيق ذلك.[2]

فمن مشاهير الأطباء في عهد الأمير الدكتور عبد القادر الحكيم بن زرفة[3] والطبيب أبو عبد الله الزروالي الذي توصل إلى تركيبة أعشاب تخرج الرصاص من المصاب دون جراحة ولا ألم، وقد أكد الفرنسيون الذين زاروا معسكر الأمير عبد القادر منهم توستان دي منوار سنة 1841م، الذي ذكر أنه في جيش الأمير عبد القادر طبيب بلقب باشا (جراح)، كبير الجراحين ويؤيد أدريان بيير بروجير نفس الملاحظات تقريبا الذي زار معسكر الأمير على رأس وفد سنة 1837م، كما قام بتأسيس مراكز صحية تأوي وتكفل المرضى والتي تحتوي على (الفراش، الطعام، العناية)، ويؤكد قدور بن رويلة في كتابه وشائح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب الذي بين أنه كان يرأف بجنده لدرجة أنه وضع قانونا واضحا خاصا

[1] حرشوش (كريمة)، الأمير عبد القادر وإسهاماته في النهضة العربية بالجزائر وبلاد الشام بين النظري والتطبيقي (1832_1860م)، حمداد (عمر)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، 2017-2018، ص 198.

[2] حرشوش (كريمة)، المرجع نفسه، ص190

[3] الحكيم بن زرفة: ولد بالقرن الماضي في أحد الأحياء العتيقة بتلمسان وبالضبط بالقرب من مسجد سيدي إبراهيم في منزل متواضع، ترعرع فيه حكيم وجراح في دولة الأمير عبد القادر من أهم أنشطته الطبية التحكم في صنع الأدوية وتحضيرها. ينظر: صاري (الجيلالي)، الحكيم بن زرفة طبيب وجراح جيوش الأمير عبد القادر، مجلة دراسات إنسانية، العدد 02، 31 ديسمبر 2002، ص ص 315_320.

بالجرحى والمرضى وعائلات الشهداء إذ يذكر في أحد بنوده عن المعطوبين في الحرب "أن تعطل بالكلية فإنه يجرى راتبه[1] حتى يموت".[2]

كل هذه الأمثلة والدلائل التي وضحتها الدراسات التاريخية بمراجعها ومصادرها برهنت على مدى إنسانية الأمير عبد القادر ورفعة أخلاقه التي ميزته غيره من الشخصيات الأخرى في العالم.[3]

ليس هذا فحسب بل ونجد أن الأمير قد إهتم بغذائهم وملبسهم وهي شهادة هنري تشرشل بقوله: "... قدم على عبد القادر فرحين بإيجادهم لقطيع من الغنم وألحوا عليه ليتناول وجبة دسمة لكن قال خذوها إلى جنودي الذين يكادون يموتون جوعا وعاد هو إلى ثمار البلوط"، أما عن الألبسة فكان يصنعها لهم من الكتان فيما يخص الجنود أما الضباط فكانت من الجوخ وفي حال تلفها كان يجددها لهم دون مقابل وغيرها من الأمثلة التي وضحت تضحية وصدق وإنسانية الأمير في بناء دولته.[4]

[1] كان جيش الاميرعبد القادر يتقاضى مرتبات معلومة كانت تدفع لهم حسب ما ذكره ماصو (masso) كل ثلاثة أشهر وهي على قسمين، قسم عناصر الخدمة وقسم العناصر المحالة على التقاعد، إذ تقدر الرواتب ما بين 9 ريالات 16 ريال، فالآغا له 22 ريال، أي نحو 30 فرنك، مضاف إليه في كل يوم 3 أرغفة من الخبز، واحدة من الخبز الأبيض وإثنان من الأصفر، فقد إختلفت هذه الرتب من مستوى إلى آخر. ينظر: هروال (هاجر)، التنظيم المؤسساتي لدولة الأمير عبد القادر (1932-1847م)، دراسة تحليلية نقدية، الطيب (العماري)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015-2016، ص90.

[2] بن ساعد (عائشة)، المرجع السابق، ص276

[3] بن عدي (محمد)، النظام الصحي في دولة الأمير عبد القادر (1832_1847م)، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جانفي 2022، ص ص 41_50.

[4] بن رويلة (قدور)، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، ط1، دار الوعي، الجزائر، 2017، ص ص 36_37.

ثانيا: الأمير عبد القادر وتسامحه مع الأسرى .

1. المرأة الأسيرة:

إن المتتبع في ثنايا شخصية الأمير عبد القادر الجزائري بتعامله مع الفرنسيين وخاصة مع الأسرى، نجد أنه قد اهتم بهم وإعتمد على منهج في تعامله معهم من خلال أنه أصدر أوامر يومية للرفق بالأسرى ومعاملتهم معاملة حسنة تتناسب مع شخصيتهم، ويرى أحد المعاصرين للأمير أنه منذ وصوله إلى السلطة شرع إلى محاربة كل ما يسيء إلى الأسرى، وأول ما فعله أنه دعم أوامره بالحديث النبوي في قوله: "...أقتلوا طيلة وقت المعركة، وبعد إنتهائها أوثقوا الأسرى ليكونوا بعد ذلك محل عفو أو مبادلة.."، إستنادا إلى هذا نفهم أن مرجعية الأمير عبد القادر كانت تقوم على مبدأ العفو وكذلك المحافظة على حياة الأسرى من خلال مبادلتهم[1]، كل هذا في ظل الأخذ بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ولم يكتف بهذا بل بين لأصحابه مدى قيمة مصلحة آبائهم الذين سقطوا بين أيدي المسيحيين، إذ كان يقوم على ضمان الحفاظ على الأسرى المسلمين وإلزامية معاملة الأسرى الفرنسيين معاملة حسنة وإن إختلفت ديانتهم[2]، ومنع قتلهم وهذا ما يتوافق مع المادة الثالثة من اتفاقية جنيف.[3]

فقد أوضحت الكتابات التاريخية رحمة الأمير وتسامحه مع المرأة خاصة في فترة الحرب، لاسيما أن الأمير كان شديد الإباء من رؤية السجينات وكان يرى أنهن ضحية للحرب وأنها لم تخلق لها، ومن بين المواقف التي أثبتت ذلك عندما لأحضر له فرسانه أربع

---

[1] فقد ورد في رسالة مؤرخة بتاريخ 1841م، من أسقف الجزائر إلى الأمير عبد القادر الجزائري للشروع في تبادل الأسرى كما طلبها الأسقف وهذا مايدل على إنسانية الأمير إتجاه الأسرى على عكس الفرنسيين الذين أرهقو أسراهم، ينظر:

Houamrane Chik, L'Emir abd el-kader, résistant et humaniste, Editions ANEP , 2001, p37.

[2] الميلق (عبد القادر)، المرجع السابق، ص ص149-172.

[3] مزهود (سليم)، أخلاقية التعامل مع الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، العدد 02، 2020، ص ص 60_77.

فتيات كغنيمة هامة فأدار وجهه إشمئزازا في سخرية وقال: "إن الأسود تهاجم الحيوانات القوية أما أبناء أوى فتسقط على الضعيفة منها".[1]

فمن بين المعاملات الإنسانية إتجاه الأسيرات من النساء، كان يستقبلهم استقبالا مسؤولا إلى أقرب خليفة بغرض الفحص ويجرى لهم استجوابا بخصوص الكنيسة التي كانوا فيها فقد كان يرسل الرجال إلى تازة أما النساء إلى الزمالة حيث يتوفر الأمان والمعاملة الخاصة.[2]

وقد أشارت الكثير من الرسائل إلى مدى اهتمام الأمير عبد القادر بالأسيرات منها رسالة وصلت إلى الأسقف ديبوش بينت حالة أم مع ابنتيها كانتا أسيرتين لدى باي مليانة قبل أن توضع تحت رعاية والدة الأمير عبد القادر والتي جاء فيها: "... الأميرات يقمن بخيمة خاصة تقع بالقرب من خيمة والدة الأمير عبد القادر ويتولى زنجيان تابعان لهذه السيدة الموقرة بحراستهما فلا يسمحان لأحد بالدخول دون إذن هذه الأخيرة.[3]

وبالحديث عن والدة الأمير عبد القادر لالة الزهرة، فكان يضرب بها المثال في توفيرها للأمن والرعاية الصحية للسجينات، لاسيما المريضات منهن، حيث كانت تقدم لهن كل صباح يوم كميات من الزيت والزبدة واللحم ومواد غذائية، ويذكر شارل هنري تشرشل "...إن إحدى السجينات مرضت، فضمتها إليها وحنت عليها، وحملت لها الشايو السكر والقهوة، واكانت تعمل بكل ما في وسعها لإسعاف السجينات وإسعادهن وتوفير الراحة لهن.."[4]

---

[1] هنري تشرشل (شارل)، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو قاسم (سعد الله)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1974، ص212.

[2] علاق (محمد)، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، تلمساني (بن يوسف)، رسالة ماجيستر في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2012، ص105.

[3] خياطي (مصطفى)، أسرى الأمير عبد القادر، تر: مضربة بن يوسف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص147.

[4] بن داهة (عدة)، النظام الصحي لدولة الأمير عبد القادر (1832، 1847م)، المجلة المغاربية للدراسات الإجتماعية والتاريخية، ع:1، 2009، ص ص41-50.

كما حدد الأمير عبد القادر وفقا لمبادئ القانون الدولي الإنساني[1] مبادئ التعامل مع النساء وفق المادة (14) من إتفاقية جنيف لأسرى الحرب في جميع الأحوال حق احترام أشخاصهم وشرفهم، ويجب معاملة النساء من الأسرى بالاعتبار الواجب لجنسهم وفي جميع الأحوال يجب أن يحصلن على نفس المعاملة الجنسية التي يعامل بها الرجال وجاء في الفقرة الثانية من المادة (88)، أنه لا يحكم على النساء من أسرى الحرب بعقوبة أشد أو يعاملن أثناء تنفيذ العقوبة معاملة أشد من المعاملة التي يعاملن بها النساء في قوات الدولة الحاجزة لذات الفعل.[2]

وبالفعل جسد الأمير مع الأسيرات إنسانيته وفق مبادئ القانون الدولي الإنساني وهذا ما أكدته الكتابات التاريخية لمعظم المؤلفين.

2. التسامح الديني المسيحي من خلال شهادات الأسرى:

لقد عرف الأمير عبد القادر بتسامحه الديني الدال على إنسانيته، فقد كان يسمح لغير المسلمين بممارسة شعائرهم الدينية إلى درجة انه كان يطلب للأسرى[3] الذين في معسكره، قسيسا ليلقي على مسامعهم المواعظ والدروس الدينية ويؤمهم في الصلاة، إذ كتب الأمير

[1] القانون الدولي الإنساني: من بين القوانين الدولية الحديثة النشأة التي ظهرة نتاج لإحترام الحروب من بين الدول وما تأثرت بيه البشرية من ويلاتها المدمرة. ينظر: صفاي (العيد)، مجلة البحوث ودراسات العليان، ع1، جويلية 2014، ص ص 46 79.

[2] دوحة (عبد القادر)، إسهام الأمير عبد القادر في القانون الدولي الإنساني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 05، ديسمبر 2010، ص ص 297_307.

[3] الأسير: عرف الدكتور عمر سعد الله مصطلح الأسير بأنه عبارة عن أفراد القوات المسلحة الذين يقعون في قبضة العدو فيجرى إحتجازهم بمنعهم من العودة. ينظر: ورنيقي (محمد)، ورنيقي (الشريف)، تنظيم أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، ع: 02، 2013، ص ص244-277.

عبد القادر إلى أسقف الجزائر قائلا: "... أرسل قسيسا إلى معسكري وسوف لن يحتاج لشيء، وسوف أعمل على أن يكون محل احترام وتبجيل".[1]

وإستقبل القسيس لأداء طقوسه الدينية، وهذا ما يفسر لنا إحترام الأمير عبد القادر لدين النصارى حتى وهم أسرى لديه ولم يجبر احد على التخلي عن دينه أو مقايضته بحريته، على عكس الفرنسيين الذين أجبروا الشعب على التخلي عن دينه بإتباع سياسة التنصير والتخلي عن أحوالهم الشخصية وألقابهم العربية.[2]

لا بل وحد الأمير عبد القادر فيما يخص حرية الأسرى في ممارسة شعائرهم الدينية والتي كرستها إتفاقية جنيف في مادتيها (34) و(37)، إذ تحدثت المادة الأولى عن حرية الأسرى في ممارسة واجباتهم الدينية، على حريتهم في حضور الإجتماعات الدينية الخاصة بعقيدتهم في حين أكدت المادة (37) على هذه الحرية عندما اشترطت تعيين رجل دين من مذهب الأسرى أو مذهب مشابه له عندما لا يتوفر في هؤلاء الأسرى رجل دين.[3]

في هذا الإطار دائما يروي لنا هنري تشرشل، أنه ذات مرة صاح سجين فرنسي كان يتقد بالغضب من مجرد الإشارة إلى الردة بحضور الأمير عبد القادر قائلا: "... أما بالنسبة لي بالنسبة فلن أتخلى عن ديني، قد تقطعون رأسي ولكنكم لن تقدروا على جعلي أرتد على أرتد عن ديني ... فرد عليه الأمير: هون عليك تقديري، فأنا أحترم الشجاعة في الدين أكثر من الشجاعة في الحرب.[4]

---

[1] عبد القادر(شريف)، تجليات التسامح والتعايش في حياة الأمير عبد القادر من خلال تراثه الأدبي والسياسي، مجلة أدبيات، العدد 09، ديسمبر 2019، ص ص 21_29.

[2] صدوقي (أمحمد)، شخصية الأمير في الكتابات الاستعمارية الفرنسية وسبل الرد وسبل الرد من طرف الكتاب المدرسة الوطنية الجزائرية 1830_1883م، دراسات أبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، جانفي 2022، ص ص 274_284.

[3] دوحة (عبد القادر)، المرجع السابق، ص ص 226_238.

[4] عبد القادر (شريف)، تجليات التسامح والتعايش في حياة الأمير عبد القادر من خلال تراثه الأدبي والسياسي، مجلة أدبيات، العدد 02، ديسمبر 2019، ص ص 21 – 29.

ومن بين شهادات الأسرى الفرنسيين الذين إعترفوا بالمعاملات الإنسانية الراقية المشبعة بروح التسامح، والتي وجدوها أثناء أسرهم نذكر ما صرح به الكابتن موريزو أحد القادة الفرنسيين الذين وقعوا في الأسر لدى الأمير فيقول "...وبعد ساعات فتحت عيني ...ولم أكد أصدق ما حصل لي، إذ كنت ما أزال أحتفظ بكيفياتي وبوسام الشرف، لم ينتزع مني أي شيء وكنت في مأمن داخل خيمة، ممدودا على بساط بين برنسيين اثنين كلحاف، وزربية إلى جانبي، مع جرة فيها ماء وليمون....".[1]

ونستحضر فهذا الصدد شهادة الكولونيل سكوت[2] حول معاملة الأمير عبد القادر لأسراه إذ أكد في مذكراته مدى إحترام الأمير لدين الأسير[3]، إذ بين حسن معاملته بقوله:"... معاملة الأسرى تبعث على الرضا والإرتياح إذ حرم الأمير على جنوده قطع رأس أي أسير وهذا مايثبت زيف التقارير التي تزعم بأنهم لا يلقون أي رعاية أو عناية من العرب، فهذه الأقوال مخالفة تماما لحقيقة وأعطى الأمير الأمان للأسرى من خلال السماح لهم بالخروج وتجول في المدينة (تلمسان)، أيضا من بين المعاملات التي سجلها الأمير عبد القادر في شأن الأسرى الفرنسين هي معاملته الطيبة لشخصية فرنسية مهمت ألقيا عليها القبض ذات يوم في سهول متيجة وهو "ماصون" المدير العام في الولاية العامة الفرنسية في الجزائر ورغم أنه

[1] شاطو (محمد)، التسامح الإسلامي المسيحي من خلال مسيرة الأمير عبد القادر، 1832- 1883م، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية، العدد 01، جوان 2019، ص ص 379- 404.

[2] هو ضابط بريطاني الأصل يؤمن بحق الشعوب بالحرية والكرامة إنضم إلى جانب المتحررين ضد الملكيين ضد إسبانيا في الحرب الدائرة ضد الملكيين 1833- 1839، سرح من الخدمة العسكرية بسبب تعرضه للإصابة ورغم ذلك بقي مصرا على أن يشارك المقهورين في العالم مما وقع إختياره على مقاومة الأمير وعارض سكوت أن يكون قائدا لأركان حرب الأمير ... إلخ. ينظر: سريج (محمد)، رأي "الكولونيل سكوت" في الأمير عبد القادر من خلال مذكراته عن إقامته في زمالة الأمير عام 1841م، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد الأول جانفي 2022م، ص ص 302 315.

[3] Scott colonel, K.S.F. K.F., A JOURNAL OF A RESIDENCE IN THE ESMAILLA OF ABD-EL-KADER : AND OF TRAVELS IN MOROCCO AND ALIGIERS, LONDONE, WHITTAKER AND CO. AVE MARIA LANA 1842, P 52.

أحضر أمام ورفض الإفشاء بأي سر، هذا السلوك أثار إعجاب الأمير ولم يكتفي بالتسامح مع بل مده بجميع وسائل الراحة ومنحه فرصا لتريض والتنزه" وغيرها من الإختيارات[1].

ويروي سوشيه حديثا ممتعا في الدين بينه وبين الأمير عبد القادر جاء فيه قول الأمير "... إذا كان دينكم (الكاثوليكي المسيحي) على هذه الدرجة من الجمال وعطف فلما لا يرعى كل الفرنسين دينهم؟ "، فأجابه سوشيه "... لا تختلف في كل الديانات وأنه ربما بين المسلمين أصحاب الدين الإسلامي الرائع من لايتبعون قواعد دينهم" فإقتنع الأمير بهذا بدون أي تعصب.[2]

وتثبت لانا أراء القساوسة أثناء مقاومة الأمير حينما صرح في وجهه خوفا من معاملته الوخيمة ضنا منه أنه سيجبر على تخلي عن دينه فرد عليه الأمير " هون عليك انك رجل شجاع ومخلص وتستحق التقدير فأنا احترم الشجاعة في الدين أكثر من شجاعة في الحرب"

وهذا ماينم عن صلاحية الغاية الأسمى في مبادئ الإنسان المفعمة بالقيم الأخلاقية وهي تحاكي القيم الروحية التي تنشدها الشرائع السماوية ومن ثم فإن مواقف الأمير في إنسيانيته تعكس المحاكاة الروحية لديننا الحنيف، فيما يجب فعله أيضا من الإرادة الإنسانية التي ينتفي فيها الإكراه، ويأمن لها الوقار والطمأنينة التي تجعل من الأخير المقصود مشدودا بعلة المهابة والارتياح النفسي"[3].

[1] سريج (محمد)، المرجع السابق، ص ص 302 315

[2] علي (عيسى)، المرجع السابق، ص ص 321 325.

[3] فيدوح (عبد القادر)، البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الثاني ماي 2021، ص ص 66-74.

ومن بين الشهادات التي تحدثت عن إنسانية الأمير عبد القادر يوهان كارل بيرنت الألماني[1]، الذي حملت مذكراته وصفا دقيقا لهذه الشخصية، وذلك منذ بداية قصة أسره بحيث يورد العديد من القرائن على الدالة على المعاملة الإنسانية التي قابل بها جيش الأمير عبد القادر وخلفائه، وقد توفرت هذه الشهادة على تفاصيل تدل على علاقة الأمير بأسراه والمواقف الكثيرة التي أكدت على سماحة مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، وحسن معاملته لأسراه الفرنسيين وبقية الأوربيين ومن بين النماذج التي تبين ذلك حادثة أسر قبيلة جحوط لتاجر أجنبي، بحيث كان في عداد التجار الكبار لمدينة الجزائر، وأرسل إلى الأمير عبد القادر فعامله معاملة حسنة وسمح له بإستلام الرسائل وكتابة الردود عليها.[2]

كما تجلت إنسانية الأمير عبد القادر من خلال معاملته للأسرى والمسيحيين، فقد ذكر ألفرد بواسينو أن الأمير عبد القادر لم يكن يستخدم في كلامه مصطلح المسيحيين والكفار فهو يرى بأن الفرنسيين بالنسبة له ليسوا جنسا مختلفا لكنهم أناس من دين مختلف جاؤوا ليحتلوا مكانا ويفرضوا أفكارهم ومعتقداتهم.[3]

وقد ذهبت روح الحوار والتسامح بالأمير عبد القادر إلى أبعد الحدود فتجده يتسامح دينيا مع من يشن الحرب على شعبه ويغتصب أرض أجداده، وقد إعترف بهذا النبل في

---

[1] كارل بيرنت: ولد في 1812م نشأ بمدينة هالة أو بالقرب من نواحيها في الجهة الشرقية من ألمانيا بدليل أنه تتلمذ و درس في جامعتها غير أنه طرد منها قم سافر نحو أوروبا الغربية منتقلا بين حواضرها الكبرى في كل من فرنسا بلجيكا إنجلترا ولم يهتدي إلى عمل ينقذ به نفسه عدا إلتحاقه بالمقاطعات العسكرية الفرنسية بالجزائر وبالضبط الفرقة الأجنبية السيئة السمعة إنضما لها 1834م أما فيما يخص علاقته بالجزائر عام 1835م وبعد ما أن تكبدت القوات الإستعمارية خسائر فادحة خصوصا في المنطقة الوسطى تعرض كارل بيرنت للأسر من طرف القبائل العربية المرابطة. ينظر: بن عربة (محمد)، صورة و شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال شهادات ومذكرات أسراه " الألماني: يوهان كارل بيرنت أنموذجا"، مجلة الحوار المتوسطي، ع:2 ماي 2021، ص ص 248-257.

[2] بن عربة (محمد)، المرجع السابق، ص ص 248-257.

[3] لهلالي (سلوى)، الأمير عبد القادر في الأدب الفرنسي من خلال كتاب charles Taillirat، المجلة العربية للدراسات في العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 01، جانفي 2022، ص ص 115- 128.

أخلاقه وسماحته المقترنان بشدة باسه وشجاعته كبار خصومه من قادة الغزاة ومنه الماريشال سولت الذي قال سنة 1840:"... لايوجد الآن أحد في العالم يستحق أن يلقب بالأكبر إلى ثلاثة رجال، وكلهم مسلمون هم الأمير عبد القادر، محمد باشا، والشيخ شامل الدغستاني"، فطابع التسامح مع المسيحيين بدا واضحا في شخصية الأمير من خلال مواقفه المتعددة بالخصوص في ميادين القتال يقود الجيوش ويواجه العدو ويتحدى الصعاب ومراسلاته التي تبرز المواصفات التواصلية ومن بين النماذج مراسلة[1] يخاطب فيها رئيس الوزراء البريطاني بهذه العبارات "... إن الغرض الموجب لهذا الكتاب، أنك ذو رأي سديدن وعقل متسع مديد، وأيضا بلغنا أن كبراء الإنكليز اشفقوا من حالنا ونالوا الكلام في شأننا..."، فلما تأملنا كلامهم هذا هذان وجدناه كلام العقلاء والمنصفين الذين يرضون الصلاح ولايحبون الفساد.[2]

ومن مظاهر إعتناء الأمير بأسراه وحرصه على حياتهم وسلامتهم أنه ضرب أحد جيوش الجيش المحمدي 250 جلدة لأنه قطع رأس أسير وجعل مكافأة لكل جندي يحضر أسير على فيد الحياة حرصا منه على سلامتهم، فقد حاول أحد الأسرى قتل نفسه خوفا من العرب وبعض تصرفاتهم أثناء الحرب وخاصة أنه قد بلغه أنهم يذبحون أسراهم وعندما سمع الأمير ذلك قال له "... لقد كذب عليك من قال لك هذا، أنت من الآن حر طليق عد إلى قومك وقل لهم أني معجب بشجاعة جنودهم وأني لست كما يظنون من شاربي الدماء"، كما خصص الأمير حصنين من حصونه جمع فيهم أسرى الحرب وهما حصن تازة بسعيدة

[1] شاطو (محمد)، التسامح الإسلامي المسيحي من خلال مسيرة عبد القادر الجزائري 1832-1883م، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية، العدد الأول، جوان 2019م، ص ص 379 404.

[2] من بين الرسائل أيضا التي يخاطب فيها الملك الإسبانية بهذه العبارات "... من ملك المسلمين عبد القادر بن محي الدين إلى جلالة ملكة إسبانيا، وسيدة الأراضي الإسبانية السلام والفلاح الذي يتابع طريق الحق وسلام وعليكم ورحمة الله وبركاته... من المسلم به لدى جميع الناس أن الإسبان يألفون أمتا قوية وقديرة مشهورة لأعمالها الكبيرة منذ الازمنة بعيدة. ينظر: شاطو (محمد)، المرجع السابق، ص ص 379 404.

وحصن تاقدمت بتيارت، ووفر فيها كل ضروريات الحياة الكريمة بل أكثر من ذلك أمر بإعفاء الأسرى من الخدمة يوم عطلة المسيحيين[1].

وقد كان متسامحا إلى الأبعد الحدود والدليل على ذلك أثناء تنفيذه لحكم الإعدام على الخونة إرتمت طفلة صغيرة أمام رجليه وطلبت منه أن يعفو عن والدها قائلة "...سيدي لا تجعل مني يتيمة"... فلم يتمالك نفسه ولاحظ الحاضرون دمعة تسيل على خده وهو ينظر إلى الخائن، فخفض عينيه وأمر قائلا "فليعطه أحدكم جوادا ليبتعد من هنا"، ولم يتردد أبدا عن مساعدة الضعفاء طبقا حرفيا لتعاليم القرآن[2].

ثالثا: صور التسامح في رسائل الأمير عبد القادر ومعاهداته .

1:المعاهدات:

أ: معاهدة دي ميشال 26 فيفري 1834م:

لعل المتفحص جيدا في شخصية الأمير عبد القادر التاريخية زمن الحرب أو في فترة مقاومته وبالأخص في علاقاته إتجاه الفرنسيين يفسر لنا مدى تعامله الإنساني وتسامحه سواء من الجانب العسكري أو في علاقاته الدبلوماسية منها المعاهدات والمواثيق.[3]

ومن بين الشواهد الدالة على قيمه الإنسانية وتسامحه واحترامه للعهود والمواثيق التي عقدها الأمير عبد القادر مع السلطة الفرنسية أثبتت ذلك ومن بين هذه المعاهدات معاهدة ديمشال[4] في 26 فيفري 1834م، فهي تعتبر عقدت إنسانيا مع القوات الفرنسية التي لم

[1] بن عبدالله (سعيد)، العدالة في الجزائر من الأصول إلى اليوم، ج1، د ط، مؤسسة نيسو للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص145 .

[2] بن عبدالله (سعيد)، المرجع نفسه، ص 146.

[3] شافو (رضوان)، قيم التسامح والعفو بالعهود في رسائل الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الثاني، ماي 2021، ص ص 206_213.

[4] معاهدة دي ميشال :تعتبر معاهدة دي ميشال من المعاهدات الهامة التي أبرمها الأمير عبد القادر مع السلطات الفرنسية وهي وثيقة دبلوماسية أساسية بالنسبة للدارس أو الباحث في العلاقات الجزائرية الفرنسية والتي إعترفت فيها فرنسا بالأمير

يخرج عنها الإنشغال الإنساني فقد نصت المادة الأولى من هذه الإتفاقية على توقيف القتال إبتداءا من تاريخ توقيعهما وحرصا على الجانبين ولتنفيذ هذا الإتفاق عين الأمير عبد القادر ثلاثة قناصل في كل مكان من وهران، أرزيو، مستغانم، مقابل ذلك أرسل الجنرال الفرنسي قنصلا إلى معسكر لوقف النزاع بين الطرفين.[1] (ينظر إلى الملحق رقم 03)

وغيرها من المواد الأخرى التي نصت على إطلاق سراح كل المساجين من الطرفين والتي تضمنت وحملت في طياتها العديد الكلمات المعبرة عن القيم الأخلاقية السالفة الذكر، [2] ومن بين الأدلة التي توضح ذلك تأكيده على المواد الأولى من نص المعاهدة في رده على دي ميشال "...يمكنك أن تثق بأن أي التزام يمكن أن نتوصل إليه سيكون محل إحترام من جانبي .....ويمكن الإعتماد علي لأنني لم أتخلى أبدا عن كلمتي.[3]

كل هذه الأقوال والأفعال جسدها الأمير عبد القادر والتزم بها وكانت من بين النماذج الإنسانية الدالة على مبدأ التسامح في شخصية الأمير عبد القادر.

2- رسائل الأمير عبد القادر:

أ- رسالة الأمير عبد القادر إلى الوزير برنار 1839:

لقد أبانت رسالة الأمير عبد القادر إلى الوزير برنار في 04 مارس 1839م لغة الخطاب الهادئ للأمير، والباحث عن السلم والنابذ للحرب والعنف، والمستعد للصلح والصفح دائما وتجنبا لإراقة الدماء بين الجزائريين والفرنسيين على الرغم من أن السلطة الإستعمارية

عبد القادر وبإمارته .ينظر:آيت حبوش (حميد)، قراءة في مضمون معاهدة دي ميشال وأهميتها على الطرفين الجزائري والفرنسي، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الثاني، ماي 2021، ص ص 285- 272.

[1] عاشور (محفوظ)، الوضع الإنساني في الجزائر من خلال أرشيف اللجنة الدولية للصليب الأحمر 1954_1963م، إ ش: يحياوي (مسعودة) مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2_أبو قاسم سعد الله، 2015_2016، ص32.

[2] دوحة (عبد القادر)، بصمات الأمير عبد القادر الجزائري في القانون الدولي الإنساني، مجلة الحوار المتوسطي، العددين 13_14، ديسمبر 2016، ص ص 226_238.

[3] ايت حبوش (حميد)، المرجع السابق، ص ص 258_272.

كانت دائما تنقض المواثيق، وتتملص من العهود وهو ما أكدته هذه الرسالة الأميرية قوله "... ولما ورد علينا هذا الأمر جمعناه مرة أخرى الآن وشاورناهم فلم يرضوا بذلك، وإن كنت تحب الصحبة والألفة والصلح معكم فلا يمكنني مخالفتهم لموافقة شرعنا لمرادهم ولا يخفى عليكم حال الرعية إذ أرادوا شيئا، ولا يمكنني مخالفتهم أيضا فإن الوكيل بيجو كنا قد اتفقنا معه على بعض المسائل فلم يوفي لنا بها"، وهي ذات الإشارة في رسالة الجنرال بيجو في 15 سبتمبر 1841م، حيث جاء في خاتمة الرسالة قائلا " إن عزيمتي تهيب بي للدفاع عن ديني الطاهر وحقوق الشرعية حتى آخر قطرة من دمي، لكن إن توفرت شروط المشرفة للصلح فأنا راغب به...".[1]

ب- رسالة الأمير عبد القادر إلى الجنرال لويس فليب سنة 1846م:

أما الرسالة الثانية إلى الجنرال لويس فليب[2] والذي أكد فيها مرة أخرى الأمير عبد القادر عن الأخلاق النبوية المتمثلة في مبادئ الصلح والعفو عن أسرى الحرب والوفاء بالعهود والمواثيق المتفق عليها والعيش المشترك في سلام مستشهدا بالعديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأخص بما ذكره الأمير حول الصفح عن الأسرى في رسالة وجهها إلى الجنرال لويس فيليب 1846م قائلا "... لم نستطع في العام الفائت أن نتفاوض معكم حول قضية الأسرى المسيحيين الذين بين أيدينا لأننا لم نكن قادرين على عرض إقتراح يمكن أن يرضيكم، غير أننا في السنوات الماضية أطلقنا سراح أكثر من مئة أسير لبيجو[3] بدون

[1] شافو رضوان، المرجع السابق، ص ص 206-213.

[2] لويس فيليب: ولد لويس فيليب في 6 أكتوبر بباريس وتوفي في المملكة المتحدة بتاريخ 26 أوت 1850م، أوصلته إلى الحكم ثورة جويلية 1830م التي أطاحت بشارل العاشر، قدم لفرنسا إصلاحات جذرية في المجال الصناعي والمالي وبعث بأبنائه إلى الجزائر ليساهموا في توسيع رقعة الإحتلال والقضاء على المقاومة. ينظر: بن صحراوي (كمال)، المرجع السابق، ص150.

[3] بيجو: الحاكم العام الفرنسي في الجزائر وصاحب سياسة الإحتلال الشامل في الجزائر 1841-1847م التي إمتزجة بين سياسة أسلافه وسن قواني أخرى تبنتها الحكومة الفرنسية على الجزائر أرضا وشعبا. ينظر: بن عمارة (زوينة)، لونيسي

مقابل"، ولعل إطلاق سراح الأسرى بدون مقابل يذكرنا بموقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما فتح مكة وخطب فيهم أمام باب الكعبة المشرفة قائلا " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده"، إلى أن قال أيضا يا معشر يا قريش ما ترون أني فاعل فيكم قالوا خيرا؟ قالوا: خير أخ كريم وإبن أخ كريم، قال: اذهبوا فانتم الطلقاء، بل واصل الأمير عبد القادر في إعطاء الدروس الإنسانية والأخلاقية للقادة الفرنسيين في المعاملة الحسنة لأسرى الحرب والتخفيف من معاناتهم قائلا في ذات الرسالة "... وما إن اقتنعنا أن بين الأسرى قادة ينتمون إلى عائلات كريمة هم رجال شرفاء لم يحاولوا الهرب خلال أسرهم حتى أكبرنا سلوكهم وأعطينا الأمر بصيانة حياتهم وفصلناهم على الآخرين الذين قتلوا[1].

رابعا: تسامحه مع القبائل

إن التسامح صفة من الصفات التي تميز بها الأمير عبد القادر لأنه يعرف أن الشخص المتسامح يحظى بحب الله، وعليه فقد وظف الأمير فكره لخدمة السلم والتسامح في جميع علاقاته العامة، في دولته وخصوصا مع شيوخ القبائل التي رفضت الإعتراف وعارضت سلطته[2].

فقد كان الأمير عبد القادر متسامحا مع القبائل[3] التي رفضت الإعتراف بسلطته، فبعد معاهدة التافنة[1] 30 ماي 1837م، ووعدهم بنسيان الماضي إذ أحسنت نواياهم معه وبايعوه

(إبراهيم)، الحاكم العام الفرنسي في الجزائر بيجو وأثر سياسته على الجزائرين بين 1841-1847م، مجلة الإحياء، ع3 جانفي 2022، ص ص 1016- 1036.

[1] رضوان (شافو)، المرجع السابق، ص ص 206-213.

[2] نابي (بوعلي)، التسامح وأبعاده في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار الثقافي، ع2، سبتمبر 2017، ص ص 52 58.

[3] القبيلة: لقد عرفت الموسوعة العربية مفهوم القبيلة بإعتبارها تتكون من مجموعة من ناس الذين يتكلمون بلهجة واحد ويسكنون إقليما واحدا مشتركا. مكحلي(محمد)، إشكالية القبيلة في دراسات الإجتماعية في المغرب العربي نموذجا، مجلة آفاق فكرية، ع1، 2014، ص3-8.

على الطاعة وتعاونوا معهم ضد المحتل الأجنبي، فقد يبق حلمه سيفه في الوقت الذي لم يكونوا في نظره ليس أك ثر من كوب من الماء في يد ضمآن، كما لم تفد المعاملة الحسنة مع بعضهم فقد بعدما أن أجهز عليهم وهزمهم، وفي النهاية إستسلموا منهم إبن المخطار، وجاء شخصيا لدى الأمير عبد القادر وطلب منه العفو، ولكن عبد القادر لم يكتفي بمنحه العفو فقط بل عينه خليفة له وهو مندهش لذلك، وهكذا أصبح إبن المخطار أكثر أنصار الأمير عبد القادر إخلاصا له[2].

كما تسامح أيضا مع كثير من القبائل الفقيرة التي تعاني من قساوة الطبيعة، والتي تفتقر إلى موارد الغذاء والمال وعاملها بدرجة من العطاء والإكرام، وخفض من قيمة الضرائب التي تدفعها إلى خزينة الدولة، مثل قبيلة أولاد سيدي الشيخ وأهل القصور في الصحراء، ومنحهم امتيازات تتمتع بها على خلاف باقي القبائل الأخرى، وعاملهم بدرجة خاصة من الإكرام[3].

ومن بين النماذج عن تسامح الأمير عبد القادر مع القبائل ما ذكرته أغلب الكتابات التاريخية فعند وصوله إلى ناحية مينة تناهى إلى مسامعه أن قتالا نشب بين قبائل البربر ووصل في الوقت المناسب وأصلح بينهم، وعاقب مثيري الفتنة، وعقد الصلح بينهم وقعه رؤسائهم، وقد جاء نصه كالآتي "وقد أبرمنا بحول الله وقوته الصلح بين قبيلة الأكراد وقبيلة أولاد شريف وقبائل سليم وقبائل الشرقية ومحمي أثر مكان بينهم من بقايا حمية الجاهلية، وألزمنا كل فريق فيهم بالإنضباط وطاعة الأنظمة في الدولة برفع كل قضاياهم إلى من

---

[1] معاهدة التافنة: هي معاهدة أنعقدت في 30 ماي 1837م بين الطرفين (الجزائر والفرنسي) حسب ماذكرته أغلب المصادر وقد ذكرها الأمير في مذكراته"... وكان قبل ستتن من مدة هذا الحصار المفروغ منه عقد صلحا مع ...". ينظر: بليل (محمد)، تجربة الامير عبد القادر في التفاوض مع الفرنسين ومعاهدة تافنة انموذجا، المجلة المغاربية للدراسات الإجتماعية والتاريخية، ع1، مارس 2012، ص ص 237-260.

[2] نابي (بوعلي)، المرجع نفسه، ص ص 52 58.

[3] كركب (عبد الحق)، أبعاد فكر التسامح الإنساني لدى الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والإجتماعية، ع1، جانفي 2022، ص ص 150 165.

ولينا هم وجعلنا عقوبات شديدة على من يخالف الأنظمة أو ينقص أمر هذه المصالحة أو يتسبب بإفسادها فيكون قد عرض نفسه لسخط الله وغضبه[1].

لقد كان الأمير يؤكد أن الغاية الوحيدة لقبوله هذا المنصب هي أمن البلاد وإطمئنان الشعب على نفسه وأمواله وإعراضه وتمتعه بحقوقه الدينية، ثم طرد الغزاة الفرنسيين ولا يمكنه ذلك إلا بمساعدة أبناء هذا الشعب بالمال والرجال، وإن المكاسب التي تحصل عليها الدولة هي عائدة إلى الشعب وغيرها من المصالح التي أمنها الأمير على شعبه.[2]

ونستنتج من خلال دراستنا لهذا الفصل أهم المواقف الإنسانية خلال فترة المقاومة إبتداءا لمعاملاته مع جنده وترسيخه لقيم التسامح من جهة أخرى طبقا إنسانيته إتجاه الأسرى من خلال تسامحه الديني الذي عبرة عنه أغلب الشهادات والرسائل المتبادلة، كما إتخذ من جهة أخرى موقفا إنسانيا مع القبائل من خلال وغيرها من المعاملات التي ترجمتها أغلب الكتابات التاريخي.

[1] محمد صلابي (علي محمد)، المرجع السابق، ص 165.

[2] محمد صلابي (علي محمد)، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر تاريخ الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، د ط، دار الألوهة لنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ص 349.

الفصل الثالث: الأعمال الإنسانية للأمير عبد القادر بعد نفيه (1847_1883):

أولا:إنسانية الأمير عبد القادر في الأسر (1847_1856م).

ثانيا:الأمير عبد القادر وترسيخه لقيم التسامح في سوريا (1856_1865م).

ثالثا:الأمير عبد القادر وموقفه الإنساني من قناة السويس (1865-1883م).

لقد تعددت مواقف الأمير الإنسانية من محطة لأخرى، فإبتداءا من مولده ونشأته وتجاربه نبعت قيمه ومبادئه السمحاء هذه المحطة كانت بمثابة الركيزة الأساسية لبناء دولته الفتية وتجسيده قيمه لهذه المبادئ من خلال معاملاته مع الأسرى، القبائل، جنده، وأكمل مسيرته الإنسانية حتى بعد نفيه إلى فرنسا مرورا بالشام وبعدها إلى مصر هذه الأخيرة التي مثلت محورا هاما في حياة الأمير عبد القادر وإنسانيته كما كانت نقطة في شهرته التي سنتحدث عنها بالتفصيل الملل في هذا الفصل.

أولا: إنسانية الأمير عبد القادر في الأسر (1847_1856م):

قبل أن نتحدث عن الدور الإنساني للأمير عبد القادر في المشرق، يجب أن نرجع إلى فترة مهمة من أسر الأمير وإنسانيته إذ يجدر الإشارة في هذا الصدد أن أغلب الدراسات التاريخية لم تستفيض إلى الجانب الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر.

فبعد أن قاتل الأمير عبد القادر لمدة سبعة عشر سنة منذ توليه الحكم حتى 1847م، وأوقف القتال بمعاهدتي دي ميشال والتافنة وقرر الهجرة لفتح جهة جديدة مع جيرانه ورفض سفك دماء العرب وغدرت به فرنسا أثناء طريقه إلى عكا أو الإسكندرية بعد تعهدها بسلامته وتم اختطافه للتفاوض معه وإغرائه بتملك أراضي وقصور فرنسا ورفض ....ثم وطلب الهجرة إلى دمشق بعدما أن قدم له نابليون الثالث صك الإفراج عام 1853م معتذرا عن غدر الحكومة السابقة على ألا يعود إلى الجزائر.[1]

وعليه فقد إمتدت فترة أسر الأمير عبد القادر قرابة خمس سنوات كاملة بعدما أن صار الأمير وصحبه أسرى لدى فرنسا منذ ركوبهم باخرة لاسم ودي عشية 24ديسمبر 1847م إلى غاية الإعلان الرسمي لنابليون الثالث عن إطلاق سراح الأمير عبد القادر وجميع

[1] معدى (الحسينى)، موسوعة أشهر الثوار في العالم، ط1، دار نهار لنشر والتوزيع، الجيزة، 2012، ص169.

المعتقلين يوم 16اكتوبر 1852م في محطته الأخيرة من قصر أمبواز.[1] (ينظر إلى الملحق رقم 04)

فقد فتح الأمير صفحة جديدة من حياته وانتهت مهمته في وطنه كقائد عسكري حاملا للواء الجهاد في سبيل الله والوطن وإبتدأت مهمة جديدة بادية الصفحة للعيان وإن تجاهلها البعض وهي مهمة الدفاع عن الإسلام والمسلمين وترسيخ فضائله وقيمه الإنسانية في المجتمعات الغربية في أرض العدو بالضبط، خاصة في مجتمع لا يعرف عن الإسلام إلى أنه دين يحمل سفك الدماء بعيدا عن الحضارة والرقي وغير ذلك من الأوصاف التي رمى بها أعداء الإسلام، ولهذه المهام نذر الأمير عبد القادر نفسه طوال بقائه في فرنسا في دفاع عن الإسلام والمسلمين.[2]

ومن أهم المواقف التي تبين صدق هذه الحقيقة خاصة بعدما أن اتهم احد القساوسة الإسلام بأنه لا ينهى عن الغدر والخيانة، فحاجة الأمير عبد القادر بتأليفه لرسالة وبعثه إليها تحت تسمية المقراض[3] الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد ركز فيها عن ما يأمر بها الإسلام من وفا بالعهد والنهي عن المنكر وكل القيم والشيم التي تميز بها دين الإسلام مستشهدا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

---

[1] موسم (عبد الحيفظ)، المرجع السابق، ص ص 129- 139.

[2] قلايلية (العربي)، البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر في كتاب حياة الامير عبد القادر – ترجمة أبو القاسم سعد لله، مجلة المعيار، ع2، ديسمبر 2010، ص ص 163-185.

[3] المقراض الحاد لقطع لسان منتقض دين الإسلام بالباطل والإلحاد: من بين ما أنتجه الأمير عبد القادر في معتقل أمبواز هذه الفترة التي كانت غنيا من الإنتاج الأدبي بحيث يضمن لنا الأمير عبد القادر في شرحه لمحتوياته هذا الكتيب بحيث تشمل المقدمة كلاما عن العقل وخلق السموات وخلق الأرض أما فصوله ففي مجملها تتحدث عن تاريخ الرسل وأخلاق الإسلامية منذ عهد آدم عليه السلام من رحمة وعدل وحياء...إلخ. ينظر: بقبق (الزهراء)، الأمير عبد القادر في الأسر (1849-1852م)، إ ش: الصم (المنور)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران سانيا، 2009-2010م، ص 141.

وفعلا لم يكن حديث الأمير عبد القادر مجرد أقوال بل تجسد في أفعال دونتها الكتابات التاريخية وأخبرتنا عنها فقد الأمير نموذجا لما قاله من خلال مواظبته على القيام بشعائر الدين، كل ذلك جعله محل إعجاب من الذين زاروه، فقد كان يؤدي صلواته بأمان وإقامة وجماعة وصلى في أماكن عدة بفرنسا مثل أمبواز وبو، والعجيب في الأمر ما ذكره أحد القساوسة في أحد أقواله "....أن وجود الأمير خطر عظيم ويجب علينا ان نجهز جميع إمكانياتنا لكي يسمح له بالخروج من فرنسا وان كابرت الحكومة واصرت ان تبقيه بمنفاه فسيحل بنا ما حل بالأراضي الإسبانية يوم إفتتحها العرب وعمرها لمدة ثمانية قرون بأكملها".[1]

وقد واصل الأمير عبد القادر تجسيد قيمه الإنسانية بعد نفيه من آخر محطة في فرنسا من خلال أنه هيأ مزرعته لإقامة عائلات من أتباعه ووزع عليهم قطع من الأراضي كما كان يقضي جل أوقاته في مدارس والمساجد بحيث كان يقدم دروس ويتناقش أحيانا مع المسلمين كما كان يحب التنزه على صهوة جواده كما كان خيرا لمساعدة الفقراء دون تميز.[2]

كل هذه التجارب الأخلاقية التي قام بها الأمير عبد القادر أعطتنا صورة كاملة عن مدى تمسكه بدينه وقيمه الإسلامية والإنسانية، وفعلا رغم المعاناة التي مر بها الأمير أكسبته القوة لتخطي العوائق بل ودفعته أكثر لتقديم العديد من النماذج الإنسانية في المشرق العربية وبالضبط في سوريا ومصر والتي سنتطرق إليها لاحقا.

[1] قلايلية (العربي)، المرجع السابق، ص ص 136-185.

[2] زبيري (بومدين)، إقامة الأمير عبد القادر في مدينة بورصة 1853-1856م، بين الكتابات الغربية والوثائق العثمانية مجلة المعيار، ع51، ص ص 617-634.

ثانيا: الأمير عبد القادر وترسيخه للإنسانية وقيم التسامح في المشرق العربي نموذجا "سوريا"

1. الأمير عبد القادر منبع للثقافة والتسامح في سوريا:

بعدما قاله الأمير عبد القادر بأثر عميق "..إن المقاومة قد إنتهت فلنعترف بذلك والله شاهد على أننا حاربنا طالما كان ذلك في إستطاعتنا، فهل في إستطاعتي أن أستأنف الحرب أنني أهزم وسيتعرض العرب إلى مزيد من الآلام ...كما إن القبائل لم تعد تطيعني "وهكذا إنتهت مقاومة الأمير عبد القادر بعدما أن طلب الأمان وأن يسمح له بالهجرة إلى الشرق.[1]

وبعد المراحل التي مر بها منذ أسره وحبسه لمدة زمنية غير محددة في فرنسا حاولت الكثير من الشخصيات ثني الأمير عن قرار الإنتقال إلى المشرق وفضل التمسك بالعهد الذي قطعه له الفرنسيين حول نفيه إلى سوريا، خاصة وأنه أصبح مركز إشعاع ونقطة للسياسيين والمفكرين والعلماء بالإضافة إلى الفقراء وهذه المكانة جعلته يقف أمام ذلك الموقف الإنساني الرائع الذي نشب بين الطوائف من خلال حقن الدماء وإنقاذ العديد من الآلاف المسيحيين، وقد سبقته سمعته إلى المشرق من خلال ما حققه وأصبح محل تقدير ومنبع ثقافة للحوار والتدين.[2]

فقد كان الأمير عبد القادر في دمشق سيدا عظيما، محترما من طرف الجميع له كلمته والقول المسموع وكان قصره قبلة لرجال الفضل والعلماء ورجال الدين ودعاة الصوفية فأخذ في دراسته لأراء محي الدين وإبن عربي من كتبه وراح يلقنها لتلاميذه ويعلمهم مبادئ الحساب والشريعة الإسلامية وتفاسير القرآن وشرح النصوص الرئيسية لصحيح البخاري.[3]

---

[1] قحموص (شريفة)، دور الشخصيات الجزائرية المهاجرة إلى سوريا (1830-1919م) الأمير عبد القادر وطاهر الجزائري نموذجا، إش: غرادين (مغنية)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الوطن العربي المعاصر، جامعة محمد خيضر-بسكرة، 2018-2019م، ص 39.

[2] بوعزيز (يحيى)، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائر، ط3، دار العربي للكتاب الجزائر 1938م، ص70.

[3] حرشوش (كريمة)، (حمدادو بن عمر)، المرجع السابق، ص ص 422-439.

فقد عاش الأمير عبد القادر حياة مليئة بالعلم والتدريس والعبادة في دمشق بكل أمن وراحة يرعى أبناءه ويمد يد المساعدة لكل محتاج، وقد عمل الأمير إلى جانب دوره كمعلم إلى ترميمه لمرافق دار الحديث التي هيأت لإقامة شعائر العبادة.[1]

وقد طابت له الحياة في دمشق ففيها أقام مجالس الذكر، إلى جانب حديثه عن الجهاد ضد الفرنسيين بل كان يشرح ذلك لمن يفنده الحديث عن الحرب للحكام ورجال الجيش، وكانت هذه المجالس نواة لكتاب المواقف وهو من أشهر كتب الأمير، فقد رجاه الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ الطنطاوي أن يدونوا ما يتكلم في مجالسه فكانت بمثابة نواة ذلك الكتاب والذي عرف بإسم المواقف آنذاك.[2]

إلى جانب هذه المؤلفات التي إشتهر بها الأمير، تأثر من جهة أخرى مثل كتاب الإتقان في علوم القران للسيوطي والإبريز وهو كتاب عن حياة ومعارف القطب الغوث عبد العزيز الدباغ الذي وضعه تلميذه احمد إبن مبارك ...كما تأثر بكتاب (الشفا)، للقاضي عياض وصحيح البخاري وكتاب الفتوحات المكية لإبن عربي وغيرها من المؤلفات.[3]

2. الفتنة الطائفية وأهم أسبابها 1860:

أ. أسباب الفتنة الطائفية 1856م

قبل أن نتطرق إلى أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه الفتنة الطائفية[4] يجب أن نعرف طبيعة هذا الحدث، ففي 1860م وقعت مواجهات عنيفة بين الدروز والموارنة تحولت

---

[1] قدور (نورة)، الأمير عبد القادر من مؤسس لدولة وطنية إلى راع لتعايش الديني، مجلة الإنسان، ع 8، ديسمبر 2018، ص ص 7-28.

[2] الجزار (أحمد كمال)، المفاخر في معارف الأمير عبد القادر وسادة الأولياء الأكابر، مر: زكي إبراهيم(محمد) ، ط1ن منتدى سور الأزبكية، 1997، ص39.

[3] الجزار (احمد كمال)، المرجع نفسه، ص 41.

[4] الطائفية: هي جماعة وفرقة من الناس يجمعهم مذهب أو رأي يمتازون به، والطائفية هي التعصب لطائفة معينة. ينظر: مرشد حمود (أحمد)، الطائفية دراسة في جذور الظاهرة وسبل الوقاية، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، ع:2ن ديسمبر 2020، ص ص100-130.

إلى صدامات بين المسلمين والمسيحيين ألهبها التنافس الخفي بين الإنجليز والفرنسيين والذي كان لها الأثر البالغ على المنطقة.[1]

وتعود أسباب هذه الفتنة إلى العديد من الأسباب منها دور الإستعمار الفرنسي والبريطاني في تأجيج نار هذه الفتنة منذ أن تحصلت هذه الدول على حق إمتياز حماية الأقليات المسيحية في الشام من الخلافة الإسلامية العثمانية فقد كان الإنجليز يبسطون نفوذهم على جبل الدروز وشملت فرنسا بحمايتها الموارنة بينما أخذت روسيا على عاتقها حماية الكنيسة الأرثوذوكسية وأخذت هذه الدول في تسليح الطوائف التابعة لها وتحريضها على التمرد والثورة الأمر الذي انتهى بما هو معروف بفتنة النصارى.[2]

أيضا من أهم الأسباب التي أدت إلى هذه الفتنة نذكر منها الإقتصادية وبالضبط إلى الصراع الموجود منذ فترة طويلة بين فئتي البرجوازية الدرزية الزراعية والتجارية والطبقة الريفية الفلاحية المارونية حول السيطرة على الأراضي في لبنان وما جاورها.[3]

إضافة إلى التحريض من طرف عملاء فرنسا الذين لم يقتصروا على تحريض الكاثوليك للوثوب على الدروز فحسب بل قاموا بتحريض أنصارهم من اليزبكيين من آل العماد وحرضوهم على العداوة لتحدث في الجبل فتنة تستوجب تدخل فرنسا لتبسط نفوذها على الجبل وتحقق أمنيتها، كما شارك في هذه الحوادث العملاء البريطانيون الذين رأو أن مصلحة حكومتهم تعتمد على مساندة الدروز.[4]

---

[1] بوتشيشة (عبد القادر)، مشروع تولية الأمير عبد القادر على بلاد الشام، سعد الله (أبو القاسم)، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر 2 بوزريعة، 2012-2013، ص 56.

[2] طاعة (سعد)، دور الأمير عبد القادر الإنساني في أزمة الطائفية 1860م، مجلة قضايا التاريخية، ع5، 2017م، ص ص 40-49.

[3] طاعة (سعد)، المرجع نفسه، ص ص 40-49.

[4] حرشوش (كريمة)، الأمير عبد القادر في ربوع الشام وموقفه من الفتنة الطائفية1856م-1860م، مجلة عصور، ع1، جوان 2020، ص 37-60.

ونظرا لمصالح[1] الدول الكبرى وأغراضهم التي كانت تسعى لمحو الخلافة الإسلامية العثمانية وتقسيم تركتها والإستيلاء عليها كلها أسباب زادت من نار الفتنة بين الطوائف في بلاد الشام وقد بلغ هذا الصراع الديني ذروته فحصلت حروب طاحنة راح ضحيتها العديد من القتلى والجرحى.[2]

وفي 1859م بالضبط في جويلية إنفجر صراع دموي في بلدة المتن كانت له إنعكاسات مباشرة على إندلاع الصدامات الطائفية الدموية في مختلف أرجاء لبنان وبدأت هذه الصدامات في 28 ماي 1860م إنجر عنها العديد من الآثار السلبية بحيث تم إحصاء حوالي أربعين قرية محروقة ومنهوبة في جبل لبنان حتى وصلت الصدامات إلى سهل بيروت وغيرها من النتائج التي ذكرت.[3]

ونظرا لتأزم الأوضاع وإشتداد الصراع بين الأطراف ظهرت مرة أخرى إنسانية الأمير الخالدة مجسدا بذلك قيم التسامح وموقفا نار الفتنة من جهة أخرى ويتضح ذلك في مواقفة المشرفة التي تدعو إلى الإعجاب والتي كان لها الصدى الكبير في أغلب أنحاء العالم.

ب. الدور الإنساني للأمير في إخماد الفتنة الطائفية:

لقد تجسدت النزعة الإنسانية للأمير عبد القادر من خلال أقواله ومواقفه كتدخله في إيقاف الفتنة الطائفية 1860م، فقد شهد له التاريخ بذلك وقد برز ذلك في دوره البطولي في

[1] لقد أوضحت العديد من الكتابات أطماع فرنسا في الشام، فقد كانت تهدف إلى إستغلال الثروات من خلال إنشاء الشركات الفرنسية إضافة إلى عقدها للعديد من المعاهدات التي كانت مع الدولة العثمانية التي كانت تجارية في البداية، ثم أدخل مبدأ الحماية الدينية على النصوص وغيرها من التدخلات التي دخلت فيها بلاد الشام مع فرنسا. ينظر: بوراس سمية، أسرة الأمير عبد القادر في المشرق بين السياسة العثمانية والسياسة الفرنسية ، إش: صاري (أحمد) مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث المعاصر، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، 2014-2015، ص95-96.

[2] حرشوش (كريمة)، المرجع السابق، ص ص37-60.

[3] أحمد الزغبي أمجد، الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري "دراسة في فتنة دمشق 1860م، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع: 12، 2016، ص ص9-41.

إنقاذ المسيحيين من مذبحة أكيدة واستطاع من جهة أخرى أن يحقق عمليا أسلوب حماية الدماء وترسيخ قيم التسامح والإنسانية وذلك من خلال السبل والطرق التي انتهجها[1].

فمن بين المبادرات الإنسانية التي قدمها الأمير عبد القادر لحماية المسيحيين حسبما ذكرت أغلب الدراسات التاريخية وعلى رأسها الدكتور يحي بوعزيز في كتابه الأمير عبد القادر رائد الكفاح التحرري من خلال التدخلات والمقابلات التي أجراها الأمير لدى الوالي التركي حتى لا يصل الإضطراب على الأقل إلى دمشق، كما خاطب الأمير الناس يدعوهم إلى الهدوء والتبصر والحكمة كما طالبهم بالكف عن إيذاء المسيحيين، إضافة إلى ندواته العلمية في المسجد الأموي ودار الحديث النووي يحث الجميع إلى اليقظة إزاء المؤامرات التي تحاك ضدهم.

كما ساهم من جهة أخرى إلى منح الحماية للمسيحيين(ينظر الملحق رقم 4) من خلال انه جهز لهم مابين 300إلى 1000شخص من رجاله لتوفير الأمن وكان هؤلاء الرجال ممن يثقون فيهم واغلبهم من الجزائريين وأقلية من المغاربة، إضافة إلى مساهمته لتوفير البيوت والملاجئ التابعة والتي كانت من ممتلكاته أو بيوت دمشق لي لإيواء المسيحيين الفارين إلى بيروت[2].

وخاطب الناس يدعوهم إلى الهدوء والحكمة والتبصر، كما طالبهم بالكف عن إيذاء المسيحيين " وكان في نداوته العلمية في المسجد الأموي وفي دار الحديث النووي يحذر الجميع ويحثهم على اليقظة إزاء المؤامرات التي تحاك في الظلمة وكان يبصر الوجهاء و الأعيان بعواقب التفرقة بين أبناء الشعب ويحذرهم من أخطار الصدام بين الطوائف، وكان

[1] درعي (فاطمة)، النزعة الإنسانية عند الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي، ع:02، ماي 2021، ص ص137-146.

[2] كركب عبد الحق، المرجع السابق، ص ص150-155.

يدعوهم إلى عدم الثقة بالدول الأوروبية الإستعمارية التي تستعين بالفتن الطائفية وتغذيها وتلهبها"[1].

إضافة إلى توفير طرق أمنية لحماية المصالح الحكومية ومنها قنصليات الدول، ونوه الجميع بجهود الرجل في حماية حياته من خطر هذه الفتنة، وهاهو لانوس قد اعترف بذلك، حيث قال: "... إنني أنقذت بأن مقري موجود في الحي المسلم ونائب قنصل النمسا مع زوجته عندي، وقناصل فرنسا، روسيا واليونان، لدى الأمير عبد القادر، بحيث لجأ حوالي أربعة آلاف إلى القلعة..." وفي نهاية الأمر تمكن الأمير في الأخير من إنقاذ الآلاف من المسيحيين، وبالتالي كان قد أنقذ دمشق والشام من حرب عاصفة[2]، وأنقض الإنسانية م شرور الحقد والإنتقام كان يطول مداه لولا جهود هذا الرجل[3].

وفي هذا الصدد جاء في أحد أقوال الأمير أثناء مساعدته للمسيحيين: "... أيها المسيحيون تعالوا أنا عبد القادر بم محي الدين تعالوا سأحميكم"، وقد بلغ الملتحقين ببيته حولي 700 شخص، وتحول منزله إلى ملجأ للمسيحين، غير أن إنتشار الخبر استغله البعض للإحتشاد أمام بيت الأمير ومطابة المسيحيين، فعلى الرغم من محاولته إقناع الناس العدول عن أفكارهم وأفعالهم المتوحشة وعندما أدرك عدم جدوى ذلك قام متحديا قائلا: " المسيحيون؟ لن تنالوا مسيحيا واحدا طالما ظل جندي من جنود حيا، إن المسيحيين ضيوفي يا قتلة النساء والأطفال، هيا حاولوا أخذهم وسترون كيف يحسن جنود عبد القادر القتال، أقسم بالله بأننا سنجاهد من أجل قضية مقدسة التي جاهدنا في سبيله"[4].

---

[1] طاعة سعد، المرجع السابق، ص ص40-46.

[2] يذكر شاهد عيان على دور الأمير في وسط هذه المعركة قائدا: "لولا رجال الفضل وأهل الإصلاح وصباح المروءة كالأمير الخطير الذي شاع صيته في الأفاق... الذي كان يطوف المدينة ليلا نهارا برجله المغاربة الشجعان وينابيهم يا أمة الإسلام إن ذلك لا يجوز في ديننا". ينظر:أحمد (الزغبي)، المرجع السابق، ص ص9-41.

[3] درعي (فاطمة)، المرجع السابق، ص ص137-146.

[4] درعي (فاطمة)، المرجع نفسه، ص ص137-146.

كما كانت ردود الأمير عبد القادر في منتهى العقلانية مع المحرضين الذين طالبوه بتقديم النصارى، حيث خاطبهم قائلا: "يا إخواني إن تصرفكم معيب فهل نحن في حرب يحق لكم قتل الناس؟ إلى أي درك انحدرتم، وأنا أرى المسلمين ملطخين بدم النساء والأطفال؟ ألم يقل الله: " من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس " وقال أيضا: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾.[1]

فقد كان موقف الأمير عبد القادر الإنساني الخالد الذي كشف عن شهامته وعمق إيمانه حين استطاع أن يحقق عمليا حماية الدماء من الإراقة، في فضاء تجلت فيه الروح الإنسانية التسامحية للأمير في أسمى معانيها فقام بإيواء المسيحيين بمنازله، وهو ذلك الرجل المتعصب لدينه، ويعترف له بذلك القاسي والداني، ويمدحه العارفون من أهل الشر والأدب وتقدم له الأوسمة والنياشين، وإنها لوقفة متميزة أصل الأمير من خلالها للحوار الإسلامي المسيحي على كل الأصعدة[2]. (ينظر إلى الملحق رقم 06)

ج. الإعتراف العالمي بإنسانية الأمير:

لقد أعرب التاريخ عن عرفانه وإمتنانه للأمير عبد القادر من خلال ما قام به في سوريا، ومن بين النماذج التي إعترفت بهذا الموقف الإنساني على رأسها الدول المسيحية الأوروبية والشام والعالم ككل بجهود الأمير في سبيل ترسيخ القيم والمبادئ الإنسانية، وتهافتت بعض الشخصيات العالمية منها الكردنال لافيجري[3] الذي يصف لقاءه بالأمير عبد

---

[1] درعي (فاطمة)، المرجع السابق، ص ص137-146.

[2] شاطو (محمد)، المرجع السابق، ص ص379-404.

[3] شارل لافيجري: هو شارل مارسيل ألمان لافيجري، ولد في 31 أكتوبر 1825م بوير بالقرب من بايون، والديه من عائلة برجوازية، أبوه مفتش لدى مصلحة الجمارك بالمدينة، وأمه ذات أصل بايوني، كانت عائلته تتعامل مع الدين في إطاره الضيق، على عكس لافيجري الذي أظهر منذ صباه توجها دينيا خالصا كنتيجة للتكوين الذي تلقاه من قبل فتاتين. ينظر: طيطوش حدة، الكردينال لافيجري وأبعاد مهمته التبشيرية الجزائر (1867-1880م)، مجلة مدارات تاريخية، ع: 03، سبتمبر 2019، ص ص520-539.

القادر في شهر سبتمبر 1860م بقوله " بطلب مني وقبل مغادرتي دمشق إلتقيت بالأمير عبد القادر الذي إختار هذه المدينة كمنفى وإقامة له بعد حربه في الجزائر، وإقامته مدة في فرنسا ثم تركيا ثم دمشق، ووصفه بأنه مسلم يتصف بالقوة والشجاعة التي لا نظير لها تكمن من خلال الخصال التي تتوفر لديه من حماية الآلاف من المسيحيين الفارين نتيجة الحقد الديني، إن القليل من الرجال الذين يمتلكون هذه التضحيات، وهذا ما استوجب علي فعله عند نهاية زيارتي، حيث قدمت له الشكر بإسمي وإسم الكنيسة الكاثولكية"[1].

ومن الملوك والشخصيات الدينية الذين أثنوا عليه الإمام (شاميل) في رسالة شكر جاء فيها: "... إلى من إشتهر بين الخواص والعوام، وإمتاز بالمحاسن الكثيرة عن جملة من الأنام الذي أطفأ نار الفتنة وإستأصل شجرة العدوان... سمعت أنك خفضت جناح الرحمة والشفقة لهم وضربت على يد من تعدى حدود الله..."، أيضا من الملوك الذين بعثوا له رسائل الثناء بعد الحادثة رسالة القيصر الروسي قائلا " لقد اقتضت رغبتنا أن المنشور التفاتتنا إليكم بشهامتكم وعملكم بما اقتضته الإنسانية واجتهادكم في إنقاذ ألوف المسيحيين من أهالي دمشق الذين وجدوا في خطر عظيم اقتضى الحال أننا سميناكم من أعظم الفرسان"، إضافة إلى رسالة ملك إيطاليا وملكة انجلترا "من جلالة ملكة المملكة المتحدة بريطانيا العظمى إلى صاحب السمو الأمير عبد القادر تذكارا للمساعدة الخيرية المبذولة للمسيحيين في دمشق 1860م"[2].

ويبين لنا شهادة القائم بأعمال قنصل فرنسا بدمشق حالة الأمير عبد القادر وعزمه على إنقاذ المسيحيين بدمشق في أحد أقواله " عندما شعر الأمير بالخطر المحدق للمسيحيين والدروز، حينها عرض الأمير أن يجمع كل الجزائريين المخلصين له من أجل حماية الحي

[1] طاعة سعد، المرجع السابق، ص ص40-49.

[2] شاطو (محمد)، المرجع السابق، ص ص379-404.

المسيحي، ولكن إيمانه وصدق معاملته مع الناس أهلته لأن يصل إلى الغاية التي مكنته من تحقيق الهدف بتأمين الإستقرار والسلم للمسيحيين"[1].

وللتعبير عن هذا الجميل أسرعت روسيا إلى منح الأمير عبد القادر وسام النسر الأبيض وهو أعلى وسام قيصري في روسيا، حيث جاءته رسالة بشكل مرسوم موقع من القيصر اسكندر الثاني (1818م-1881م) يقضي بمنح الأمير عبد القادر رتبة أعظم فارس في الإمبراطورية باسم النسر الأبيض في 06 جانفي 1860م، إلى جانب وسام الرتبة.

كما منحته الدول الغربية العظمى والسلطة العثمانية إعترافا له بمساعدته للمسيحيين أوسمة ونياشين تجاوز عددها 21 وساما ونيشانا، كما أهدته الملكة فكتوريا بندقية مرصعة بالذهب، نقش عليها إسم فكتوريا، واسم المرسل إليه الأمير عبد القادر مع رسالة تقدير في أوت 1860م. وفي سنة 1872م أهدته وساما في وسطه أسد، بصفها ملكة انجلترا وإمبراطورية الهند، كما سلمه الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث سيفا في ديسمبر 1852م، وأهداه وساما يحمل صورة الأمير عبد القادر في الوجه الأول، ونص كتابي في الوجه الثاني، كما وصله في عام 1860م وسام "الليجيون دونير" المرصع من الرتبة الأولى مع رسالة تقديرية من الإمبراطور[2].

إلى جانب هذا التقدير وصلت إلى الأمير رسالة شكر من الأب أنطوان أوغست بافي أسقف الجزائر ثناء وتقدير على ما قام به بدمشق، رد عليه الأمير : "والذي فعلناه من الخير مع المسيحيين هو شيء لازم علينا بمقتضى الشريعة المحمدية والحقوق الإنسانية، إذ الخلق

[1] كركب عبد الحق، المرجع السابق، ص ص150-155.

[2] بن داهة (عدة)، شواهد تاريخية على عالمية الأمير عبد القادر، منشور في كتاب الأمير عبد القادر عبقرية الزمان والمكان، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية، وذان بوغفالة، معسكر، مكتبة الرشاد للطبع والنشر، د س، ص ص 69-84.

كلهم عيال الله تعالى، وجميع الشرائع التي جاء بها الأنبياء من آدم إلى محمد تدور على أصلين، تعظيم أصل الله تعالى والشفقة على مخلوقاته[1].

ثالثا: الموقف الإنساني للأمير من قناة السويس1865م:

في هذه الدراسة نحاول التعرض وتسليط الضوء على جانب إنساني آخر للأمير أبرزه وقوفه إلى جانب مشروع القرن المتمثل في شق قناة السويس[2]، وقد تجسد ذلك في العديد من المحطات التي سنتطرق إليها لاحقا.

قبل أن نوضح إنسانية الأمير وقيمه يجب أن نرجع إلى علاقته بالقناة من خلال اللقاءات الثلاث والرسائل المتبادلة بينه وبين ديلسبس، فقد جاء في مذكرات القنصل "ديلسبس أنه عرف فعليا الأمير أول مرة أثناء رحلته السفارية ومهمته بقنصلية فرنسا بمدريد وفي طريق ذهابه قام بزيارته له في إقامته الجبرية بقصر هنري الرابع بمدينة " بو- PAU"، من هنا بدأت العلاقة والإحترام بين الشخصيتين، كما أبدى المهندس والديبلوماسي الفرنسي تأثره الواضح بآراء وأفكار الأمير[3].

من بين اللقاءات التي ربطت الطرفين بعد بداية الشق بسنتين أي سنة 1861م، بعدما أن تنقل المهندس الفرنسي "ديلسبس" إلى دمشق ورأى بأم عينيه مكانة وحظوة الأمير عبد القادر، أما بخصوص موقف الأمير من القناة فقد دعمه بقوله: "...لا يمكن للعاقل أن يشك في هذا المشروع الذي يخدم الإنسانية" بل قام بالدعوة والدعاية له بطريقة غير مباشرة أثناء

---

[1] بن داهة (عدة)، المرجع السابق، ص ص96-84.

[2] قناة السويس: ممر مائي صناعي بمستوى البحر يمتد في مصر من الشمال إلى الجنوب عبر برزخ السويس ليصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر وهي تصل بين قارتي آسيا وإفريقيا وتعد أقصر الطرق البحرية بين أوربا والبلدان الواقعة حول المحيط الهندي وغرب المحيط الهادين وهي أكثر القنوات الملاحية كثافة، وتمتد القناة من بورسعيد شمالا حتى السويس جنوبا، وتستخدمها السفن الحديثة. ينظر: نوردين حسن (نسرين)، قناة السويس في مصر... بين الواقع والمأمول، المجلة العلمية للإقتصاد والتجارة، 2019، ص ص318-375.

[3] يماني (رشيد)، جوانب من إنسانية الأمير عبد القادر من خلال مشروع شق قناة السويس، مجلة الدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، ع:01، جانفي 2022، ص1-8.

حجه بالحديث عليه وعلى المنافع التي سيجلبها للإنسانية عموما وللمنطقة ومصر على وجه الخصوص، حتى أنه أطلق عليه إسم البرزخ في رسالته، وغيرها من المساعدات التي قدمها الأمير عبد القادر إلى القناة.

كما كانت للأمير آفاق مستقبلية ومشاريع أخرى، وهذا ما أوضحته أحد رسائله حول مشروع قابز كمشروع ثاني، حيث برزت الفكرة إلى الأفق بعدما راسل الأمير الفرنسيين بتاريخ 23 ماي 1883م أي قبيل وفاته[1].

ونستنتج من خلال دراستنا لهذا الفصل منذ بدايته والتي تجلت في أعماله ومبادراته الإنسانية في المشرق العربي وبالضبط في سوريا من خلال ثقافته وترسيخه لقيم التسامح، خصوصا مع المسيحيين أثناء الفتنة الطائفية 1860م، هذا الموقف أكسبه شهرة كبيرة في العالم، وتجلى هذا من خلال الأوسمة و المعالم التذكارية (ينظر الملحق رقم 5-6) والنياشين التي تحصل عليها، إضافة إلى رسائل الشكر والعرفان، وواصل الأمير عبد القادر ترسيخ هذه القيم بالضبط في مصر من خلال مشروع قناة السويس.

[1] بسايح (بوعلام)، الأمير عبد القادر والأسرى، الملتقى الدولي حول الامير عبد القادر والقيم الإنسانية، عدد خاص، دار الأمة 2001، ص 21.

الخاتمة

الخاتمة:

نستخلص من خلال دراستنا جملة من المحطات وجب الوقوف عليها والتي تتمثل:

أولا:

تعرفنا من خلال دراستنا على الأوضاع العامة للجزائر مطلع القرن التاسع عشر، فقد عرفت الجزائر تراجعا في جميع الأصعدة إبتداء من الجانب السياسي وتوتر في علاقتها الخارجية، مما أثر بصفة مباشرة في على الجوانب الأخرى، وبالتالي أصبحت الجزائر مركز إهتمام وأطماع للدول الأجنبية نتيجة العديد من العوامل التي أدت إلى ذلك.

ثانيا:

بعدما دب هذا الضعف ونخر أضلاع إيالة الجزائر ومزق جسدها القوي أصبحت محط أنظار الدول الأروبية من بينها فرنسا التي ثبتت أواصرها عن طريق مخططاتها، والتي جسدتها عن طريق قادتها، وبالفعل استطاعت ان تغرز شوكتها في ايالة الجزائر ونجحت عن طريق جاسوسها بوتان في فرض سيطرتها التامة والكاملة

ثالثا:

وبالفعل هيأت فرنسا نفسها جيدا لإحتلال الجزائر واختلقت جملة من الأسباب التي جعلتها تفسر ذلك الإحتلال بالشرعية التامة والدولية من خلال حادثة المروحة وفرضها للحصار على الجزائر،لمدة ثلاث سنوات متتالية انتهت بالحملة وإحتلال الجزائر وتوإلى هذا الصراع بين الجزائر وفرنسا من خلال العديد من المعارك بين الطرفين .

رابعا:

لقد تباينت ردود الفعل الشعبية في الجزائر في محاربة الاستعمار تجلت في العديد من المقاومات المشهورة منها مقاومة الأمير عبد القادر التي لعبت دورا محوريا في تاريخ المقاومة من هنا برزت شخصية الأمير عبد القادر والتي نالت حظا وافر من الكتابات التاريخية .

خامسا:

شخصية الأمير عبد القادر قدوة ورمز ومثال تميز عن غيره من الخصال الجمة التي تجمعت فيه نتيجة العديد من العوامل التي اثرت فيه منها نسبه الشريف ،بيئته التي نشأ فيها ،وغيرها كانت بمثابة المرجعية لبروز سمة الإنسانية وتطبيقها على ارض الواقع

سادسا:

صفة الإنسانية وقيم التسامح من أهم الخصال التي ميزت الأمير عبد القادر في حياته وبالفعل جسدها في العديد من المظاهر في خصوصا في دولته وفي معاملاته والتي من بينها إنسانيته مع الأسرى ،مع جنده ،من خلال رسائله مع المستعمر، والكثير من المظاهر التي ميزته وجعلته رائدا في العالم

سابعا:

لقد تواصلت الأعمال الإنسانية للأمير عبد القادر خلال فترة أسره من خلال نشره لتعاليم الدين الإسلامي، وقواعده مبرهنا للعدو صورة المجتمع الجزائري القائم على الرحمة والإنسانية.

ثامنا:

قد تنوعت هذه السمة من مكان لآخر تاركا ورائه آثارها من خلال شهادات ومعالم وضحت ذلك في المشرق العربي بالضبط في سوريا ومصر، وبلغ صيته إلى جميع أنحاء العالم وأصبح المثل الذي يقتدى به في ترسيخ مبدأ الإنسانية وقيم التسامح.

تاسعا:

شخصية الأمير عبد القادر شخصية تاريخية لعبت دورا محوريا في تاريخ الجزائر المعاصر ورسمت أبعادا ومفاهيم أبهرت العالم كله.

الملاحق

الملحق رقم (01): مخطط لعائلة الأمير عبد القادر[1]

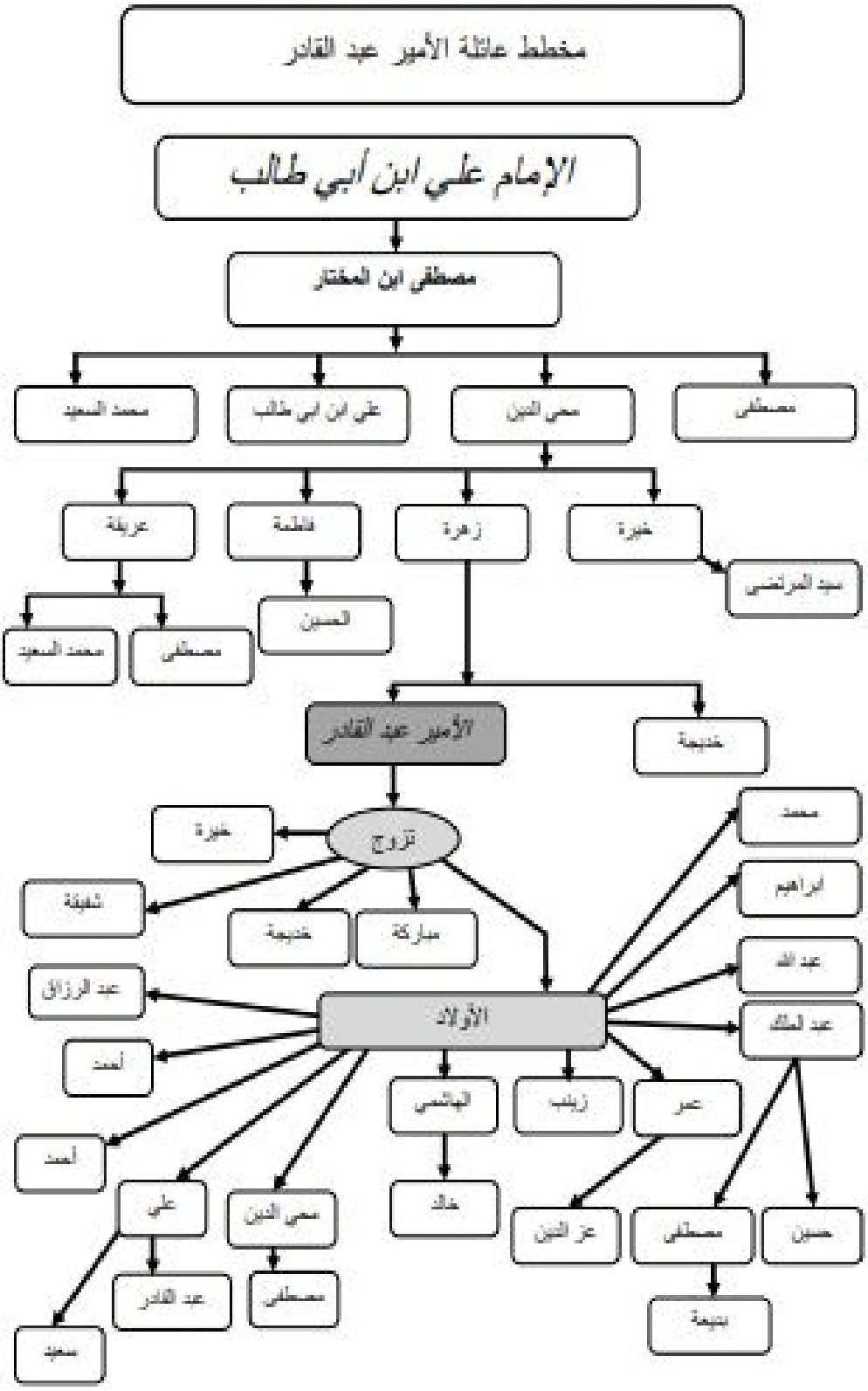

[1] ينظر: عوينة (سارة)، قرديش (كنزة)، آل الأمير عبد القادر والجزائر، إش: دراوي (محمد)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة، جميس مليانة، 2016- 2017 ، ص 71

الملحق رقم (02): الأمير عبد القادر في دمشق.[1]

[1] زغدان (زهية)، المرجع السابق، ص 71

الملحق (03): معاهدة دي ميشال.[1]

[1] شافو (رضوان)، المرجع السابق، ص 270

الملحق (04): لوحتان للأمير عبد القادر يحمي المسيحيين في دمشق (1860م)[1]

[1] بن داهة (عدة)، شواهد تاريخية على عالمية الأمير عبد القادر، منشور في كتاب الأمير عبد القادر عبقرية الزمان والمكان، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية، وذان بوغفالة، معسكر، مكتبة الرشاد للطبع والنشر، د س، ص 72

الملحق (05): نصب تذكاري أقيم بمدينة ألكادر بولاية آيوا في الولايات المتحدة الأمريكية[1]

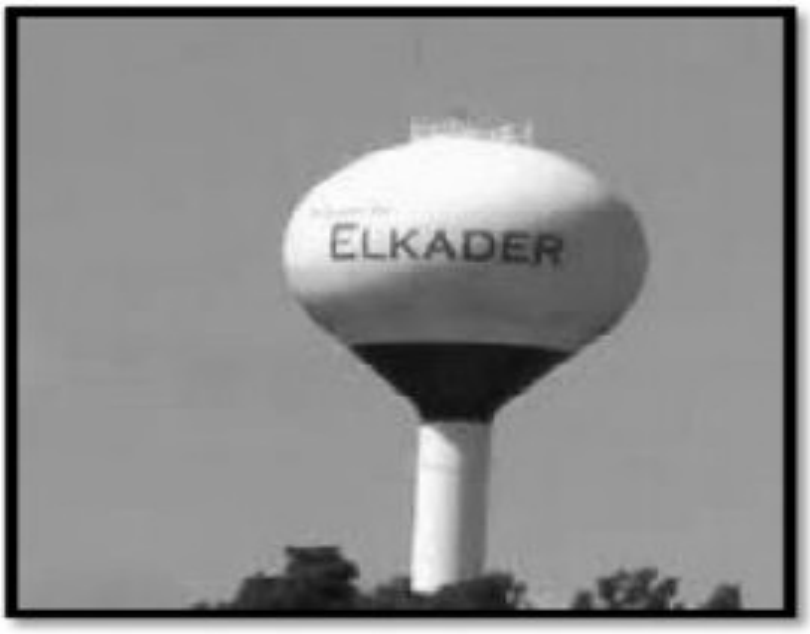

[1] بن داهة (عدة)، المرجع السابق، ص 69

الملحق (06): وسام أهداف السلطان العثماني عبد العزيز خان للأمير عبد القادر[1]

[1] بن داهة (عدة)، المرجع السابق، ص ص 78–79

قائمة الببيوغرافيا

أ-المصادر باللغة العربية:

1- برونو إتيين، عبد القادر الجزائري، تر ميشيل خوري، ط2، دار عقبة للطباعة والنشر، الجزائر 2001.

2- بن رويلة قدور، من وشائح الكاتب وزينة جيش محمدي الغالب، ط1 دار الوعي 2017.

3- بن عثمان خوجة حمدان، المرآة تر محمد العربي زبيري منشورات ANEP، الجزائر 2006.

4- تشرشل شارل هنري، حياة الأمير عبد القادر، تر سعد لله أبو قاسم، الدار التونسية لنشر والتوزيع، تونس 1974.

5- الجزائري محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ج1، المطبعة التجارية الإسكندرية، 1903م.

ب-المصادر الأجنبية:

1. Bellmare. A.Abd_kader, sa politique et militaire, Edit Bouchene, Frane, 2OO3.
2. Ement (MARCEL), L'ALERIE a l'époque d'ABD-EL KADER, présentation de René Gallisot, 1st edition Bouchene, Paris, 2002.
3. GALLOIS (WILLIAM), A HISTORY OF VIOLENCE IN THE EARLY ALGERIAN COLONY, 1st edition, ANGLETERRE, PALGRAVE MACMILLAN, 2013.
4. Houamrane Chik, L'Emir abd el-kader, résistant et humaniste, Editions ANEP , 2001.
5. Scott colonel, K.S.F. K.F., A JOURNAL OF A RESIDENCE IN THE ESMAILLA OF ABD-EL-KADER : AND OF TRAVELS IN MOROCCO AND ALIGIERS, LONDONE, WHITTAKER AND CO. AVE MARIA LANA 1842.
6. Sous la direction Abderrahmene buchene et d'autre histoire de l'Algerie a la période coloniale 2014, harvard collège library veritas02.
7. Rinn (Louis) le royaume D'alger sous premier place du gouvernement Alger 1900p.

8. Avdines en dann brog, untillerient riber of wreslegion univen city book seller careitzel bianco lunos boglunos bogtuneleri 1840.
9. Quelque document nouveaux lus et approuvés par l'officier en mission après de l'emir Abdelkader, Imprimerie Iventeullier amiens 64 rue des trois gailloux et galerie du commerce 10 1900.

المراجع باللغة العربية:

1. إباظة نزار، الأمير عبد القادر العالم والمجاهد، ط1، دار الفكر، سوريا د ن.

2. بلاح (بشير)، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2006، د ط،

3. بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1964

4. بوعزيز (يحيى)، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائر، ط3، دار العربي للكتاب الجزائر 1938م، ص70.

5. بوعزيز يحي، علاقات الجزائر الخارجية، مع دول ومماليك أوروبا(1500-1830م).

6. بوعزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995م.

7. بوعزيز (يحي)، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500_1830م ويليه المراسلات الجزائرية الاسبانية في أرشيف التاريخ الوطني بمدريد 1780_1798م، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009

8. تميم آسيا، الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، د طن دار المسك، لنشر والتوزيع، الجزائر 2008

9. الجزار (أحمد كمال)، المفاخر في معارف الأمير عبد القادر وسادة الأولياء الأكابر، مر: زكي إبراهيم(محمد) ، ط1ن منتدى سور الأزبكية، 1997

10. حرب (أديب)، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر (1808_1847)، د ط، الجزء الأول، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007،

11. الحسني بديعة، فكر الأمير عبد القادر، ج3، ط1، دار الوعين الجزائر 2012

12. الحسني عبد القادر، مذكرات الأمير عبد القادر سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة 1849م، تر محمد صغير بناني، ط7، دار الأمة الجزائر 2010م.

13. خياطي مصطفى، أسرى الأمير عبد القادر تر: مضربة بن يوسف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 2013.

14. رمزي أحمد، إستعمار الفرنسي في شمال إفريقية د ط، المطبعة الملكية الرباط سوريا لبنان 1944م.

15. زبيري (بومدين)، إقامة الأمير عبد القادر في مدينة بورصة 1853-1856م، بين الكتابات الغربية والوثائق العثمانية مجلة المعيار، ع51

16. السبع (عبد الرزاق)، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، د ط، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع الشعري، 2002

17. سعدالله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي 1998م.

18. سعدالله أبو قاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث وبداية الإحتلال، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، الجزائر 1989م.

19. سعيدوني (ناصر الدين)، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، د ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987

20. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر آواخر العهد العثماني (1798-1830م) طبعة الثانية دار البصائر لنشر وتوزيع الجزائر.

21. شويتام آرزقي ، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهياره (1800-1830م)، ط1، دار الكتاب العربي الجزائر 2011.

22. الصلابي محمد علي، كفاح الشعب الجزائري ضد الإحتلال الفرنسي وسيرة الأمير عبد القادر، د ط، دار المعرفة لبنان بيروت 2015.

23. الطيب العلوي (محمد)، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830م إلى ثورة نوفمبر1954م، ط1، دار البعث، الجزائر، 1985م

24. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي (1514- 1830م) ط2، دار هوما الجزائر 2007م

25. العسلي (بسام)،الأمير عبد القادر الجزائري، دار النفائس، بيروت، 1986،الطبعة الثالثة.

26. عمورة (عمار)، الموجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة، الجزائر، 2002،

27. فركوس(صالح)، تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للإحتلال الفرنسي والمقاومة المسلحة، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2012

28. قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، د ط، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1999

29. لونيسي رابح، رجال لهم تاريخ نساء لهن تاريخ، دارالمعرفة، الجزائر 2016.

30. محمد (عبد القادر الجزائري)، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري (1807_1883م)، شرح وتح : ممدوح حقي ،دار اليقظة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.

31. محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر والأخبار الجزائر، ج1، دار الوعي الجزائر 2012م.

32. مقلاني عبد الله، المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1954م)، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون 2014م.

33. هلايلي (حنيفي)، العلاقات الجزائرية الأروبية ونهاية الإيالة (1815_1830م)، ط1، دار الهدى، الجزائر،2007،

34. هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر 2008.

35. ولد حسين (محمد الشريف)، تاريخ الجزائر من المقاومة والحرب من أجل الاستقلال، د ط، دار القصبة، الجزائر، د س.

الرسائل الجامعية:

1. إخوان (مريم الشاوش)، الطريقة التيجانية وموقفها من مقاومة الأمير عبد القادر، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد خيضر_بسكرة، 2014-2015.
2. إيمان جنادي، الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال رحلة الضابط شوبيرنغ عرضا وتحليلا ،فاتح بلعمري ،مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة محمد بوضياف _المسيلة،
3. بسايس (قويدر)، الفكر التحرري عند الأمير عبد القادر، مجاود محمد، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة سيدي بلعباس _جيلالي اليابس، 2015_2016.
4. بشير (سعاد)، مقطع (شريفة)، الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية في الجزائر بداية الإحتلال (1830_1870م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي _أم البواقي، 2020_2021م.
5. بقبق (الزهراء)، الأمير عبد القادر في الأسر (1849-1852م)، إ ش: الصم (المنور)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة وهران سانيا، 2009-2010م،
6. بن أفراح (شريفة)، حمدان بن عثمان خوجة مساره السياسي وكتابته التاريخية، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2017_2018.
7. عوينة (سارة)، قرديدش (كنزة)، آل الأمير عبد القادر والجزائر، إش: دراوي (محمد)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة، جميس مليانة، 2016- 2017
8. بن ساعد (عائشة)، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003_2004.

9. بوتشيشة (عبد القادر)، مشروع تولية الأمير عبد القادر على بلاد الشام، سعد الله (أبو القاسم)، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر 2 بوزريعة، 2012-2013،

10. بوراس سمية، أسرة الأمير عبد القادر في المشرق بين السياسة العثمانية والسياسة الفرنسية ، إش: صاري (أحمد) مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث المعاصر، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري، 2014-2015،

11. بوشتة (خولة)، مؤسسات وهياكل دولة الأمير عبد القادر، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أدرار – دراية.

12. بوعيشة (نصيرة)،نوادري (سناء)، الفكر السياسي والديني عند الأمير عبد القادر، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة ،جامعة محمد بوضياف – مسيلة، 2017_2018.

13. حازم(سمية)، مراح (فاطمة)، الأوضاع السياسية والإجتماعية لمدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (1766_1830)، طيبي مهدية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة_خميس مليانة، 2016-2017.

14. حرشوش (كريمة)، الأمير عبد القادر وإسهاماته في النهضة العربية بالجزائر وبلاد الشام بين النظري والتطبيقي (1832_1860م)، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران_أحمد بن بلة، 2017-2018.

15. دلباز(محمد)، الحياة السياسية والعسكرية والإقتصادية في الجزائر أواخر العهد العثماني على ضوء دفتر التشريفات، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس_سيدي بلعباس، 2014_2015م.

16. رقاد (سعدية)، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب خلال العهد العثماني (1700_1830)، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة احمد بن بلة _وهران، 2018_2019.

17. زغدان زهية، حاج قدور مريم، الامير عبد القادر الجزائري من خلال الكتابات العربية والأجنبية 1807-1883م، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2017/2016، ص ص15-16.

18. زميش (هدى)، عبدلي (سعاد)، الجزائر في عهد الداي حسين، رمضان بورغدة، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، جامعة 8ماي_قالمة، 2016-2017

19. سايحي (هجيرة)، الحياة الثقافية في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، 2017-2018.

20. شربال (لمياء)،نقود الأمير عبد القادر(1836_1841)،دراسة تاريخية فنية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الجديث والمعاصر ،جامعة أبي بكر_بلقايد تلمسان ،2014_2015.

21. شريف (شهيرة)، النشاط الإقتصادي للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني (1518_1830م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الجزائر الحدبث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف _المسيلة، 2017_2018

22. شيخي (خديجة)، المقاومة الثقافية في فكر الأمير عبد القادر، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر أبو قاسم سعد الله، 2016،2017.

23. عاشور (محفوظ)،الوضع الإنساني في الجزائر من خلال أرشيف اللجنة الدولية للصليب الأحمر 1954_1963م،مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر ،جامعة الجزائر 2_أبو قاسم سعد الله ،2015_2016.

24. عزيل (تسعديت)، قاسي (وزنة)،مشروع بوتان ودوره في الإحتلال الفرنسي للجزائر (1808-1830)،سعيد زهار، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة آكلي محند أولحاج البويرة، 2018-2019

25. علاق (محمد)، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، رسالة ماجيستر في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر، 2012

26. علامة (صليحة)، الأحوال الصحية بالجزائر خلال الإحتلال الفرنسي (1830_1962م) الجزائر نموذجا، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد _تلمسان، 2016_2017،

27. العيش (سارة)، موساوي (خديجة)، الإمتيازات الفرنسية في الجزائر خلال العهد العثماني (1604_1830م)، مذكرة جامعة محمد بوضياف_المسيلة، 2016_2017

28. فرعون(حمو)، فلسفة الاختلاف عند الأمير عبد القادر (دراسة أنثروبولوجية)،سعيد محمد ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تلمسان أبي بكر بلقايد- تلمسان ،2009-2010.

29. فلوح (عبد القادر)، العلاقات الجزائرية العثمانية في الفترة (1818_1830م)، على ضوء المكتبة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2 ببوزريعة، 2009_2010م.

30. قوراري (سليمان)،شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات ،مجلة الحقيقة ،العدد 31.

31. كرانيف (آسيا)، عبدلي (نسيمة)، الحملة الفرنسية على الجزائر من خلال المصادر المحلية وانعكاساتها المحلية والدولية (1827_1846)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، قسم التاريخ ،جامعة الجيلالي بونعامة _خميس مليانة، 2019_2020

32. كيرواني (ياسمين)، علاق (خولة)، الحصار الفرنسي على الجزائر وموقف الدولة العثمانية، يوسف قاسمي، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2016_2017.

33. لمين (كريمة)، الكراغلة وموقفهم من السلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة محمد بوضياف _المسيلة، 2018_2019م.

34. ناهي (أسماء)، بلال (أمينة)، الإمتيازات الاقتصادية في الجزائر 1800_1830م، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي بونعامة_خميس مليانة، 2015-2016

35.نزروق(حليمة)، صورة الأمير عبد القادر عند هنري تشرشل من خلال كتاب الأمير عبد القادر، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم ، 2016_2017.

المقالات:

1. أحمد الزغبي أمجد، الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري "دراسة في فتنة دمشق 1860م، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع: 12، 2016،

2. بركات (عمار)، "دور التجربة الصوفية في تأسيس الأبعاد الإنسانية الأمير عبد القادر والمهاتما غاندي أنموذجين"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، العدد الثاني، ديسمبر 2019.

3. بن جبور(محمد)، البعد الإنساني للمقاومة في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة الحوار المتوسطي، ع:02، ماي.

4. بن رية (مليكة)،الشيخ بن عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة ومنهجه في إصلاح التصوف، مجلة دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ،العدد الأول ،جانفي 2021.

5. بن عدي (محمد)، النظام الصحي في دولة الأمير عبد القادر (1832_1847م)، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، جانفي 2022.

6. بن عربة (محمد)، صورة و شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من خلال شهادات ومذكرات أسراه " الألماني: يوهان كارل بيرنت أنموذجا"، مجلة الحوار المتوسطي، ع:2 ماي 2021.

7. بن موسى (محمد)، التنظيم العسكري لجيش الأمير عبد القادر (1832-1847)، مجلة عصور، ع:2.

8. بودن (غانم)، الأمير عبد القادر في كتابات العسكريين الفرنسيين، مجلة تافزا للكتابات التاريخية والأثرية، العدد 02، د ت.

9. بوسلاح (فايزة)،كتابات أدب التصوف عند الأمير عبد القادر متصوفة الجزائر وابن عربي أنموذجا ،مجلة الحوار المتوسطي ،العدد الثاني ،ماي 2021.

10. بوشنافي (محمد)، "الداي مصطفى باشا وعصره (1798_1805م)"، مجلة عصور، العددين 8-9 ، 2012_2013م.

11. بوكسيبة (محمود)،التصوف والدولة في فكر الأمير عبد القادر أو الإتلاف بين الطريقتين القادرية والرحمانية ،مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، العدد الثاني، 2014.

12. حرشوش (كريمة)، الأمير عبد القادر في ربوع الشام وموقفه من الفتنة الطائفية1856م-1860م، مجلة عصور، ع1، جوان 2020.

13. حرشوش (كريمة)، الأمير عبد القادر في ربوع الشام وموقفه من الفتنة الطائفية1856م-1860م، مجلة عصور، ع1، جوان 2020، :

14. حرشوش(كريمة)، بن عمر(حمدادو)، النسب والتنشئة وتأثيرهما على إنسانية الأمير عبد القادر، مجلة عصور، العددين 34،35، أفريل -جوان 2017.

15. حمادي (الهواري)، إبعاد التصوف عند الأمير عبد القادر،مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية والتاريخية ،العددان 5و6،جوان _2014_2015.

16. دوحة (عبد القادر)، إسهام الأمير عبد القادر في القانون الدولي الإنساني، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد 05، ديسمبر 2010.

17. شافو (رضوان)،قيم التسامح والعفو بالعهود في رسائل الأمير عبد القادر، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الثاني، ماي 2021.

18. شافو (رضوان)، لمقدم (عمر)،_نظرة حول الأنشطة الاقتصادية في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة قبس للدارسات الإنسانية والاجتماعية ،العدد الأول ،جوان 2017.

19. شيخ (فاطمة)، الداي حسين آخر شخصية عثمانية تحكم الجزائر، مجلة الحوار المتوسطي، العدد 09-10.

20. صاري (الجيلالي)، الحكيم بن زرفة طبيب وجراح جيوش الأمير عبد القادر، مجلة دراسات إنسانية،العدد 02، 31 ديسمبر 2002.

21. صاقني (عبد الجليل)، الطريقة القادرية كمنهج في التصوف بالجزائر، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية ، العدد 18، 2019.

22. صدوقي (أمحمد)، شخصية الأمير في الكتابات الإستعمارية الفرنسية وسبل الرد وسبل الرد من طرف الكتاب المدرسة الوطنية الجزائرية 1830_1883م، دراسات أبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 01، جانفي 2022.

23. طاعة (سعد)، دور الأمير عبد القادر الإنساني في أزمة الطائفية 1860م، مجلة قضايا التاريخية، ع5، 2017م،

24. طيطوش حدة، الكردينال لافيجري وأبعاد مهمته التبشيرية الجزائر (1867-1880م)، مجلة مدارات تاريخية، ع: 03، سبتمبر 2019،

25. عبد القادر(شريف)، تجليات التسامح والتعايش في حياة الأمير عبد القادر من خلال تراثه الأدبي والسياسي، مجلة أدبيات، العدد 09، ديسمبر 2019.

26. علامة (صليحة)، "تاريخ الأمراض والأوبئة في الجزائر (الجذري، الطاعون، التيفوس)"، مجلة القرطاس، العدد 02، جانفي 2015.

27. العلمي لمدارس ومساجد معسكر خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 10، ديسمبر 2019

28. قدور (نورة)، الأمير عبد القادر من مؤسس لدولة وطنية إلى راع لتعايش الديني، مجلة الإنسان، ع 8، ديسمبر 2018.

29. قدور (نورة)، الأمير عبد القادر من مؤسس لدولة وطنية إلى راع لتعايش الديني، مجلة الإنسان، ع 8، ديسمبر 2018،

30. قلايلية (العربي)، البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر في كتاب حياة الامير عبد القادر – ترجمة أبو القاسم سعد الله، مجلة المعيار، ع2، ديسمبر 2010،

31. قندوز(عبد القادر)، المشاريع الفرنسية لإحتلال الجزائر من (1741–1830م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ،العدد 14 جوان 2018.

32. قوراري (سليمان)،شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات ،مجلة الحقيقة ،العدد 31.

33. كوشتان(محمد)، فوضيل(محمد)،قيمة ومكانة مؤلفات الأمير عبد القادر الجزائري (1807–1883م) ديوانه الشعري أنموذجا، مجلة دراسات وأبحاث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد الأول، جانفي 2022.

34. لعريبي (إسمهان)، أرشيف الامتيازات الاقتصادية ودوره في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية (الدفاتر اليومية للشركة الملكية الإفريقية أنموذجا)، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 12، جانفي 2015.

35. مجادي (إبراهيم)، صافي (مجدوب)، مساهمة منطقة يلل وضواحيها في دعم المقاومات الشعبية، مقاومة الأمير عبد القادر "أنموذجا"، مجلة المنتقى للبحوث والدراسات، العدد 04، ديسمبر 2021.

36. مرشد حمود (أحمد)، الطائفية دراسة في جذور الظاهرة وسبل الوقاية، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، ع:2ن ديسمبر 2020،

37. مرشد حمود (أحمد)، الطائفية دراسة في جذور الظاهرة وسبل الوقاية، مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، ع:2ن ديسمبر02.

38. مريخي (رشيد)، "الحياة الثقافية في الجزائر في أواخر العهد العثماني"، مجلة الحكمة والدراسات التاريخية، العدد 12، ديسمبر 2017.

39. مزهود (سليم)، أخلاقية التعامل مع الآخر في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، العدد 02، 2020.

40. مصدق (سمية)، إستقطاب منطقة غريس للأشراف، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية، ع 5- 6، جوان 2014- 2015.

41. موسم (عبد الحفيظ)، الأمير عبد القادر ضمن الشخصيات الفرنسية خلال مرحلة أسره بفرنسا، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 01، جانفي 2022.

42. الميلق، (عبد القادر)، سلوكيات وأخلاقيات الأمير عبد القادر الجزائري في الحرب من الفرنسيين أنموذجا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع:01، 2019.

43. ورنيقي (محمد)، ورنيقي (الشريف)، تنظيم أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، ع: 02، 2013.

44. يماني (رشيد)، جوانب من إنسانية الأمير عبد القادر من خلال مشروع شق قناة السويس، مجلة الدراسات والأبحاث في العلوم الإنسانية والإجتماعية، ع:01، جانفي 2020

45. بن داهة (عدة)، شواهد تاريخية على عالمية الأمير عبد القادر، منشور في كتاب الأمير عبد القادر عبقرية الزمان والمكان، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية، وذان بوغفالة، معسكر، مكتبة الرشاد للطبع والنشر، د س.

الملتقيات:

بسايح (بوعلام)، الأمير عبد القادر والأسرى، الملتقى الدولي حول الامير عبد القادر والقيم الإنسانية، عدد خاص، دار الأمة 2001

الموسوعات:

معدى (الحسينى)، موسوعة أشهر الثوار في العالم، ط1، دار نهار لنشر والتوزيع، الجيزة، 2012.

المعاجم:

بن صحراوي (كمال)، معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الإحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن 19 شخصيات–أماكن – أحداث، ط1، منشورات ألفا للوثائق، قسنطينة، الجزائر، 2020.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
بسملة	
الشكر والعرفان	
الإهداء	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ
مدخل: محطات من تاريخ الجزائر ومقاومة الأمير عبد القادر	
أولا: الوضع في الجزائر مطلع القرن 19 و بداية مقاومة الأمير عبد القادر	**7**
1. السياسية	**7**
2. الإجتماعية	**9**
3. الإقتصادية	**11**
4. الثقافية	**12**
ثانيا: الخلفيات التاريخية للإحتلال الفرنسي للجزائر	**15**
1. طبيعة العلاقات الجزائرية الفرنسية	**15**
2. المشاريع والمخططات الفرنسية لإحتلال الجزائر	**16**
أ. مخطط لومي 1800م	**17**
ب. مخططي ديبو تانفيل (1801-1809م)	**17**
ج. مخطط بوتان 1809م.	**18**
3. أسباب ودوافع إختلال الجزائر	**19**
ثالثا: الإحتلال الفرنسي للجزائر والحملة الفرنسية للجزائر	**22**
1. الحصار الفرنسي للجزائر	**22**

2. أسباب الحملة الفرنسية للجزائر	**23**
3. مجرياتها وأهم نتائجها	**24**
رابعا: واقع الغرب الجزائري وردود الفعل الأولى نموذجا "مقاومة الأمير عبد القادر"	**27**
1. واقع الغرب الجزائري إبان دخول الإحتلال الفرنسي	**27**
2. الأمير عبد القادر والمقاومة الشعبية	**27**
الفصل الأول: الأسس المرجعية لشخصية الأمير عبد القادر الإنسانية (1807-832م)	
أولا: الأصل والنسب الشريف للأمير عبد القادر	**32**
ثانيا: مولد الأمير عبد القادر ووسطه التعليمي	**37**
1. مولد الأمير عبد القادر	**37**
2. نشأته ووسطه التعليمي	**38**
ثالثا: أهم رحلاته وإنتاجه الأدبي	**41**
1. رحلاته	**41**
2. إنتاجه الأدبي	**42**
أ. النثري	**43**
ب. الشعري	**44**
رابعا: مواصفاته الشخصية	**45**
1. الجسمية	**46**
2. الخلقية	**46**
أ. الفروسية، التواضع	**47**
ب. الصبر العدل	**47**
خامسا: التكوين الصوفي للأمير عبد القادر وأثره في نشأته	**49**
1. جذور التصوف في شجرة الأمير عبد القادر	**49**
2. الأمير عبد القادر وتجربة التصوف	**50**

3. الأبعاد الإنسانية للتصوف في فكر الأمير	**51**
الفصل الثاني: المظاهر الإنسانية وقيم التسامح في دولة الأمير عبد القادر (1832_1847م)	
أولا: معاملاته الإنسانية مع جنده	**56**
1. المعنوية	**56**
2. المادية	**57**
ثانيا: الأمير عبد القادر وتسامحه مع الأسرى	**60**
1. المرأة الأسيرة	**61**
2. التسامح الديني المسيحي من خلال شهادات الأسرى	**62**
ثالثا: صور التسامح في رسائل الأمير عبد القادر ومعاهداته	**69**
1. المعاهدات	**69**
أ. معاهدة ديميشال	**69**
2. رسائل الأمير عبد القادر	**70**
أ. رسالة الأمير عبد القادر إلى الوزير برنار 1839م	**72**
ب رسالة الأمير عبد القادر إلى لويس فيليب 1846م	**71**
رابعا: تسامحه مع القبائل	**73**
الفصل الثالث: الأعمال الإنسانية للأمير عبد القادر بعد نفيه (1847_1883)	
أولا: إنسانية الأمير عبد القادر في الأسر (1847_1856م)	**78**
ثانيا: الأمير عبد القادر وترسيخه للإنسانية وقيم التسامح في "سوريا" (1856-1865م)	**81**
1. الأمير عبد القادر منبع للثقافة والتسامح في سوريا	**81**
2. الأمير عبد القادر والفتنة الطائفية	**82**
أ. أسباب الفتنة الطائفية 1856م	**82**
ب. الدور الإنساني للأمير عبد القادر وإخماد الفتنة	**84**

ج. الإعتراف العالمي بإنسانية الأمير	**88**
ثالثا: الموقف الإنساني للأمير من قناة السويس1865م	**91**
خاتمة	**94**
الملاحق	**97**
قائمة المصادر البيليوغرافية	**105**
قائمة المحتويات	**119**
ملخص	

ملخص الأطروحة :

لقد عرفت الجزائر خلال القرن التاسع عشر مجموعة من الأحداث والتغيرات على المستوى الداخلي من خلال الضعف الذي شهدته نتيجة العديد من العوامل التي ساهمت في تردي الأوضاع العامة مما قلب الموازين رأسا على عقب، خاصة بعد دخول الإحتلال الفرنسي 1830م.

بعد تخطيطه منذ قرون للسيطرة على الجزائر لكن هذا الوضع لم يدم طويلا إنما ظهرت ردود فعل وطنية مثلتها شخصيات لها نفوذ مثل الأمير عبد القادر الذي قاد العديد من المعارك وحقق الكثير من الإنتصارات، هذه الشخصية التي إنفردت عن غيرها من الشخصيات المهمة في تاريخ الجزائر المعاصر، بالعديد من الخصال والمزايا جعلت العالم يعترف به وبمكانته، وهذا ما إلتمسناه في موضوعنا هذا المعنون بالأبعاد الإنسانية للتسامح في فكر الأمير عبد القادر عبر ما وضحته أغلب الكتابات التاريخية من أمثلة ومظاهر توضح ذلك.

وعبر شهادات عبرت عما رأته في شخصية الأمير عبد القادر من خلال تعامله مع جيشه وأسراه ومدى تسامحه معهم ،كما جسد هذا في المشرق العربي بعد نفيه بالضبط في سوريا من خلال تسامحه الديني ودفاعه عن المسيحيين في الفتنة الطائفية 1960م، كما رسخ قيم الإنسانية من خلال شق قناة السويس مما أصبح المثل الأعلى للإنسانية وهذا ما إعترفت به أغلب بلدان العالم.

كلمات مفتاحية : الامير عبد القادر – دولة الامير – التسامح – الاسر – المشرق العربي.

Abstract :

During the nineteenth century, Algeria experienced a set of events and changes at the internal level through the weakness it witnessed as a result of many factors that contributed to the deterioration of the general situation, which turned the scales upside down, especially after the entry of the French occupation in 1830 AD.

After planning centuries ago to control Algeria, but this situation did not last long, but there were national reactions represented by influential figures such as Prince Abdul Qadir, who led many battles and achieved many victories, this character who was separated from other important figures in the contemporary history of Algeria, With many qualities and advantages that made the world recognize him and his stature, and this is what we sought in our topic entitled The Human Dimensions of Tolerance in the Thought of Prince Abdul Qadir through what was explained by most of the historical writings of examples and manifestations that illustrate this.

And through testimonies that expressed what she saw in the personality of Prince Abdul Qadir through his dealings with his army and his captives and the extent of his tolerance with them, as this was embodied in the Arab Mashreq after his exile exactly in Syria through his religious tolerance and his defense of Christians in the sectarian strife 1960 AD, as he established the values of humanity through splitting The Suez Canal, which has become the ideal of humanity, and this is what most countries of the world have recognized.

Suggestive words: Prince Abdul Qadir - the prince's state - tolerance - families - the Arab Mashreq.